مجلة

المحدث

مجلة علمية فصلية

السنة الثالثة، العدد العاشر
شعبان ١٤٤٤هـ، آذار ٢٠٢٣م

تصدر عن
مدرسة الحديث العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

المُحدث

مجلة المحدث مجلة علمية فصلية متخصصة بالحديث وعلومه

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية

رئيس التحرير

أ.د قاسم محمد أحمد الخزرجي

أعضاء لجنة التحرير

د. محمد ياسين إبراهيم

م.م سيف اسماعيل عبود الدليمي

الباحث أحمد عباس عبد الله المهداوي

الباحث أحمد لطيف سالم الكبيسي

الباحث نوري مزهر مثقال

مدير التحرير

أ.د إسماعيل خليل محمد

سكرتير التحرير

أ.م.د عمار الخالدي

التصميم والتنضيد

بلال الراوي

منذر خميس البدراني

المحتويات

ت	المحتـــــوى	رقم الصفحة
١	كلمة العدد	٢
٢	نشيد مدرسة الحديث العراقية -شعر: أ.د محمود عيدان	٣
	المقـــــــــالات	٥
٣	السنة النبوية بين الغلاة والجفاة (ق١) -د. عماد محمد عبدالله	٦
٤	تحقيق القول في صحة حديث ابن عمر رضي الله عنهما -مدبر عبد الحليم	١٥
٥	ترجمة العلامة عبد الكريم عباس الأزجي -الشيخ مرشد الحيالي	٢٣
٦	الانسجام الصوتي في الأحاديث القدسية (ق٢) -أ. د عقيد العزاوي	٤٠
٧	رفع الحرج في الحج -أ.د. اسماعيل مخلف خضير الزيدي	٥٢
٨	أبو العباس العزفي السبتي وإسهامه -د سعيد بدهان	٥٥
٩	معنى شرط الشيخين -بقلم الشيخ أبي محمد	٦٩
١٠	علم الإسناد -أ.م.د. علاء كامل عبدالرزاق	٧٠
١١	ردُّ الاعتبار لطريقة أهل الحديث الأخيار (ج٤) -أ.د. عمر عيسى	٧٥
١٢	من منهج الإمام الشافعي -ربيع الحبادي	٨٥
١٣	حديث وفوائد: في بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ -ط.د بشير نصار	٩١
١٤	حديث وفوائد: في صلاة النافلة -ط.د ياسر محمد جاسم	٩٣
١٥	ضوابط النشر في المجلة	٩٥

كلمة العدد

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا عدد جديد من **مجلة المحدث** التي تصدرها **مدرسة الحديث العراقية** ضمن السعي لنشر العلم بحديث النبي ﷺ وإشاعة المعرفة الحديثية لدى المتلقين، وقد حوى العدد مجموعة طيبة من المقالات العلمية التخصصية، ومنها ما هو ذو صبغة دعوية، خطتها أنامل وصاغتها أفكار نخبة طيبة من الشيوخ والأساتذة والباحثين، سائلين الله أن يعم النفع وتسكن لها القلوب المؤمنة، في هذا الشهر الفضيل الذي هو كالإعداد للشهر العظيم شهر رمضان المبارك وهنا دعوة لنا جميعا من نبذ الشرك والمشركين، والعمل على نشر الدين الخالص والشريعة الصافية، وتوحيد القلوب والكلمة والمواقف بين أهل الحق وهجر ما يدعو للشحناء والبغضاء والحقد بينهم، والحمد لله أولا وآخرا.

أ.د. قاسم محمد أحمد الخزرجي

رئيس التحرير

نشيد: مدرسة الحديث العراقية

الأستاذ الدكتور محمود عيدان
عضو مدرسة الحديث العراقية -كركوك

دينُ الإسلامِ لنا وطنٌ
بالودِّ جميعاً يحيينا

إخوانًا نمضيْ لموعدنا
وكتابُ اللهِ حادينا

فتزولُ معالمُ فرقتِنا
وتَطيشُ سهامُ أعادينا

وتُصَانُ عروشُ كرامتنا
يا ربُّ فبارك وادينا

دارُ الآثارِ رُبا بلدي
نحْوَ العلياءِ تُنادينا

والْهَدَفُ الأسمى يأخُذُنا
لِصحيحِ الْشَّرْعِ ويَهدينا

العلمُ تحطُّ رواحلُه
عَبرَ التاريخِ بنادينا

وينوءُ الليلُ بكَلْكَلِهِ
إنْ ألقى الناسُ معانينا

فالبصرةُ كانتْ أمنيةً
حطَّت في قلبِ أمانينا

أرضُ الأنبارِ لنا أملٌ
يحيي أمجادَ مواضينا

بغدادُ فداكِ أفئدةٌ
نحيا في حبكِ حَيّينا

وشمالُ بلادي منقبةٌ
نامت في جَفْنِ لياليا

هذا التاريخُ يسائلُنا
ويناشدنا ويحابينا

أنْ نأخذَ قَوْدَ أزمَّتِهِ
ليعودَ شموخُ سوارينا

كي يلقى دربَ سعادتِهِ
وتتيهُ الشمسُ بوادِينَا

مدرسة الحديث العراقية

المقـــالات

السنة النبوية بين الغلاة والجفاة

(القسم الأول)

الدكتور عماد محمد عبدالله

حاجتنا للنمط الأوسط:

الحمد لله الذي تَفَرَّد بالجلال والعظمة، وأَشهد أنْ لا إلهَ إلا الله، وأَشْهَد أنَّ محمدا عَبْده وَرَسُوله وصفيه من خلقه وأمينه على وحيه، أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد...

فإن السنة النبوية المطهرة هي المشروع الحضاري الحقيقي لنهضة أمتنا ورقيها، وهو الوحيد القادر على إخراجها من دائرة التيه التي وقعت فيها بسبب (الإفراط والتفريط) في التعامل مع السنة النبوية.

ففريق (**الإفراط**) يقف عند ظواهرها ويهمل مقاصدها، ومرامیها، وينحرف بها عن النمط الأوسط في الفهم، والتطبيق، والتنزيل، فيقع هو في براثن التشدد والغلو، ويوقع غيره في الحرج والضيق.

وفريق (**التفريط**) يريد أن يصنع تديناً على هواه فيفسر نصوصها كما يحلو له، وينزلها حسب رغباته وميوله، ويأخذ منها ويترك، ويعظم ويحقر، ويثبت وينفي، ويقوي ويضعف.

ومن هنا وقع الخلل وضاعت السنة النبوية بين الغالي فيها والجافي عنها وأصيبت الأمة بانحرافات فكرية وسلوكية نتج عنها التخلف عن ركب الرقي والحضارة والتوجيه.

ولن تخرج الأمة من هذا التيه إلا إذا أحسنت تعاملها مع سنة نبيها ﷺ وأخذتها بقوة حيث الفهم العميق، والتطبيق الدقيق، والتنزيل المتوازن المراعي للواقع والمستقبل.

والطريق إلى ذلك يكمن في العودة إلى: (النمط الأوسط) والذي أقف على حقيقته وأهميته و مدى الحاجة إليه في تعاملنا مع السنة المطهرة، ليظهر لنا عوار طرفي الغلو والجفاء.

أولاً: مفهوم النمط [١] الأوسط:

الوسط يعني: العدل فـ: «**الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه**» [٢]. وهو يعني التوسط بين أمرين أي: «**لا تشديد فيه ولا تساهل، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا تعصب ولا تهاون، يقرن الإسلام في تشريعه بين المادة والروح ويحرص على التوازن وتحقيقه في جميع الأمور، فيشرع ما يحقق التواؤم والانسجام بين مطالب الروح ومطالب الجسد، ويقيم التوازن بين مصالح الفرد والجماعة، فلا رهبانية في الإسلام، ولا تضييع لمصلحة الفرد والأمة، والمسلمون أمة وسط عدول خيار، بلا إفراط ولا تفريط في أي شأن**» [٣].

ويعتبر النمط الأوسط هو: «**المنهج القويم العدل، الذى يلاحظ الفطرة ويعالج الطبيعة، ويرد المجتمع إلى اليسر، مع التماسك ويبعده عن الفساد والانحلال مع الرحمة به والتخفيف عنه، وأن هذا لهو الصراط المستقيم الذى علم الله عباده أن ينشدوه، وأن يطلبوا منه هدايتهم إليه**» [٤].

---

(١) النمط يأتي بمعنى الطريق من الطرائق والضرب من الضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط أي: من ذلك الضرب، وفي حديث علي ﷺ: خير هذه الأمة النمط الأوسط، ويروي: الوسط، كره على الغلو والتقصير في الدين. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠ / ١٤٨) بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٦ / ١٠٨)، ط: دار الجيل - بيروت، ط١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(٣) التفسير الوسيط: وهبة الزحيلي ج١ ص٦٤، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤٢٢هـ

(٤) وسطية الإسلام، محمد المدني ص ١٠٤ طبعة دار القلم للنشر والتوزيع القاهرة، ط١/ ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ.

فالوسطية: «**ليست كما يظن البعض أنها استعمال فضفاض يلبس أي وضع، أو أي عرف أو أي مسلك أراده صاحبه، إنما الوسطية هي اختيار الأفضل دائما بلا إفراط ولا تفريط**» (١).

ثانياً: أهمية النمط الأوسط ومدى حاجتنا إليه:

(أ) سمة الأمة وسر تميزها:

النمط الأوسط سمة بارزة لإمتنا وعلامة من علامات تميزها وخيرتها وبقائها وشهادتها على العالمين، يقول جل شأنه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢)، و: «**الوسط ها هنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها**» (٣) قال الطبري رحمه الله: «**وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها**» (٤)، ومعنى الأمة الوسط أنها: «أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو، فمثل هذه الأمة تحميها وسطيتها مما يلحق بأخواتها-إذا جانبت الوسطية-من النقائص والعيوب من جميع النواحي» (٥). فإذا أرادت الأمة أن تعود للصدارة والتميز فليلزمها الرجوع إلى النمط الأوسط.

---

(١) الوسطية في ضوء القرآن، ناصر العمر: موقع الإسلام http://www.al-islam.com (٣٨) باختصار وتصرف.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٩٠) طبعة دار الغد العربي القاهرة، ط١/ لسنة١٩٩١م.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٣/ ١٤٢)، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

(٥) أصول المجتمع الإسلامي: جمال الدين محمد محمود، ص ١٧١طبعة دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط١/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(ب) منهج نبوي:

النمط الأوسط منهج نبوي أصيل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا) [١].

ما: «أعظم هذا الحديث، وأجمعه للخير والوصايا النافعة، والأصول الجامعة، فقد أُسّس ﷺ في أوله هذا الأصل الكبير. فقال: "إن الدين يسر" أي ميسر مسهل في عقائده وأخلاقه وأعماله، وفي أفعاله وتُروكه» [٢] وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ ﷺ قال رسول اللَّهِ ﷺ: (عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ (فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ) [٣].

و:«المشادة بالتشديد المغالبة يقال شاده يشاده مشادة إذا قاواه والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز و انقطع فيغلب قال بن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة» [٤].

وجاءت التعاليم النبوية تحذر الأمة من الوقوع في براثن (الغلو والجفاء) وتأمر: (بالتوسط والاقتصاد) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ، الْقُطْ لِي» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل٨/٩٨ (٦٤٦٣).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد (١ / ٧٧): أبو عبد الله، آل سعدي المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال دريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١/١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٤٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٧١: أخرجه أحمد ورجاله موثقون.

(٤) فتح الباري لابن حجر (١ / ٩٤)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

يَدِهِ، قَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[١]، فـ(الغلو في الدين) يعني: «التشديد فيه ومجاوزة الحد، وقيل: معناه الحد، وقيل: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها» [٢].

وعن طلق بن حبيب رضى الله عنه، عن الأحنف بن قيس، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا [٣]، أي: «**المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم و أفعالهم**» [٤].

(ج) طريق السلف الصالح:

النمط الأوسط طريق خير القرون، فقد نقل عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: (**عَلَيْكُمْ بالنَّمطِ الأَوْسَطِ فإليه ينزل العالي، وإليه يرتفع النازل**)، وفي رواية: (**يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي**)[٥].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: (**عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل، وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدا، وليس من عبد على سبيل، وسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح فتحات ورقها عنها إلا تحاتت خطاياه، كما يتحات من هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصادا في سنة وسبيل خير من اجتهاد في غير سنة وسبيل، فانظروا أعمالكم، فإن كانت اقتصادا واجتهادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم**) [٦]. وقال وهب بن منبّه رحمه الله: (**إنّ لكلّ شيء طرفين ووسطا، فإذا أمسك بأحد الطّرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل**

---

(١) أخرجه النسائي في سننه ٢٦٨/٥ (٣٠٥٧)، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى.

(٢)حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢ / ٢٤٣)، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة (نفس صفحات دار الفكر، ط٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب هلك المتنطعون (٤ / ٢٠٥٥): (٢٦٧٠).

(٤) شرح النووي على مسلم: (١٦/ ٢٢٠).

(٥) عزاه الحافظ العراقي «تخريج أحاديث الإحياء» ٤٧/١ إلى أبي عبيد في «غريب الحديث».

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٢٤): كتاب الزهد، ما قالوا في البكاء من خشية الله.

الطّرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء) [١]، وعن ثابت عن مطرف رحمه الله قال: **(خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا)** [٢].

(د) صراط الله المستقيم:

النمط الأوسط صراط الله المستقيم يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣]

ومعنى السبل أي: «**البدع والشبهات والضلالات**» [٤]، وقيل: «الأهواء، {فتفرق} فتميل، {بكم} وتشتت، {عن سبيله} عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى [٥].

فـ«الصراط المستقيم الذى وصانا باتباعه هو الصراط الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جوراً عظيما عن الصراط، وقد يكون يسيراً، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله وهذا كالطريق الحسى، فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جوراً فاحشاً، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذى يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله ﷺ وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل. فمنم المستحق للعقوبة. ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجراً واحداً، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم فى طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفريطهم [٦].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١٢ / ٣٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة فى مصنفه ٤٧٩/١٣، كتاب الزهد، مطرف بن الشخير رحمه الله.

(٣) [الأنعام: ١٥٣].

(٤) تفسير مجاهد (١/ ٣٣١): المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١/ ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٥) تفسير البغوي -طيبة (٣ / ٢٠٥) باختصار حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١٤١٧/٤ هـ-١٩٩٧م.

(٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ١٣١).

(هـ) طريق الاستقامة:

الاقتصاد في التعامل مع السنة المطهرة طريق الاستقامة والوصول إلى مرضاته عز وجل يقول جل شأنه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[١]، و: «قصد السبيل أي وسطه وأعدله ومنه عليكم بالقصد أي الاستقامة[٢]، و: «أصل القصد الاستقامة في الطريق كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ثم استعير في التوسط في الأمور ومن قوله ﷺ القصد أي عليكم القصد من الأمور في القول والفعل والتوسط بين طريقي الافراط والتفريط وحديث عليكم هديا قصدا أي طريقا معتدلا [٣]. والقصد هو: «**الطريق المستقيم، وقيل: بيان الشرائع والفرائض، وعن ابن المبارك: قصد السبيل السنة. قوله: (ومنها) أي: ومن السبيل، والتأنيث باعتبار أن لفظ السبيل واحد، ومعناها: الجمع، قوله: (جائر) أي: معوج عن الاستقامة**»[٤]، فالقصد: «**مصدر يوصف به فهو بمعنى قاصد، يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ثم استعير للتوسط في الأمور**» [٥]. ومن المعلوم أن درجات الاستقامة متنوعة وأن أول درجتها الاجتهاد في الاقتصاد وهو: «على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، لا عاديا رسم العلم، ولا متجاوزا حد الإخلاص، ولا مخالفا نهج السنة، هذه درجة تتضمن ستة أمور: عملا واجتهادا فيه، وهو بذل المجهود، واقتصادا، وهو السلوك بين طرفي الإفراط، وهو الجور على النفوس، والتفريط بالإضاعة، ووقوفا مع ما يرسمه العلم، لا وقوفا مع داعي الحال. وإفراد المعبود بالإرادة، وهو الإخلاص، ووقوع الأعمال على الأمر، وهو متابعة السنة،

---

(١) [النحل: ٩].

(٢) فتح الباري لابن حجر: (١ / ١٧٣).

(٣) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره (١ / ٢٤٠) قديمي كتب خانة – كراتشي.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩ / ١٦) بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٥) مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤ / ٢٣٨) المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣/١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.

فبهذه الأمور الستة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم. وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة: إما خروجا كلياً، وإما خروجاً جزئياً.

والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيرا -وهما الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة - فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره. فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصا على السنة، وشدة طلب لها: لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد، والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلا له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه ويحرضه، حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها، كما أن الأول خارج هذا الحد، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر. وهذا حال الخوارج الذين يحقر أهل الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، وقراءتهم مع قراءتهم، وكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة، لكن هذا إلى بدعة التفريط، والإضاعة، والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف، وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان. [١]

و: «**قد أطبق العقل والنقل على أن طرفي الإفراط والتفريط في الأفعال والأحوال والأقوال مذموم** [٢].

(و) منهج أصحاب النمط الأوسط:

أصحاب النمط الأوسط لهم منهجية في التعامل مع السنة النبوية ومن أهم معالمها:

١- أن السنة عندهم منهج حياة وتشريع متكامل وتجسيد عملي وواقعي لتعاليم الوحي الإلهي، فالسنة المطهرة لم تترك شاردة ولا واردة إلا ووضحتها وبينتها، فهي ليست مقصورة على الهدي الظاهر كما يظن البعض؛ بل هي: عقيدة، وشريعة، وأخلاق ومعاملات، إنها منهج متكامل ضابط لكل حركة في الحياة، فمن أخذها بهذا المفهوم

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١٠٧/٢/ ١٠٨)، دار الكتاب العربي– بيروت، ط٣/١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م

(٢) فيض القدير (٢٥٨/٦): زين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١/١٣٥٦هـ

وعاش بها على هذا النمط وجد البركة والحياة الطيبة، ولما لا وهي تعاليم الله أوحى الله بها إلى رسوله ﷺ فـ «**من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة.. فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**» (١).

٢- التحري لمفاتيحها أصحاب النمط الأوسط يتعاملون مع السنة النبوية من خلال هذه المفاتيح (٢) لأنها هي الموصلة لفهمها وتطبيقها وتنزيلها تنزيلاً صحيحاً من غير إفراط ولا تفريط.

٣- التثبت لكل ما جاء عن رسول الله ﷺ فإذا صح الحديث قبوله، أما الأحاديث الموضوعة والباطلة فمردودة ومرفوضة عندهم، وقد روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: «**إذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوه بمذهبي عرض الحائط**» (٣).

لذا فحاجتنا إلى تحري هذه المنهجية في التعامل مع السنة النبوية أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب، هذا وللحديث بقية وصلى الله على سيد البرية وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٢٧٠): باختصار المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧م ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) سبق الإشارة إليها في المقالات السابقة والتي بعنوان: (مفاتيح التعامل مع السنة النبوية).

(٣) شرح تنقيح الفصول (١/٤٥٠) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١/١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

تحقيق القول في صحة حديث ابن عمر ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"

الاسم: مدبر عبد الحليم

ط.د. جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، استانبول.

الإيميل: halimmedebbeur٧٧@gmail.com

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

فصحيح البخاري على سعة البحوث العلمية، التي تطرقت إلى الكثير من الطعون في رواياته، فالبحث في هذا المجال، لا يزال خصباً، لدرء العلل عن الجامع الصحيح، وبيان صحة رواياته، وعلو كعب مؤلفه في النقد الحديثي، ومن هذه الروايات التي تُكلم فيها قديماً، هذا الحديث الذي، رواه البخاري في الجامع الصحيح، وتداوله العلماء جيلاً، بعد جيل، دون الطعن فيه.

قال البخاري: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: "أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"[(١)].

وتوبع البخاري من:

أ. محمد بن محمد بن سليمان الباغندي[(٢)]، وزاد:" وخُذْ مِن حَسَناتِكَ لِمَساويكَ"، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٤٥/٤، رقم: ٦٥٨٦، وفي شعب الإيمان ٩٧٦٤.

ب. محمد بن أيوب ابن الضَّرِيس، والعباس بن السِّنْدِيّ: أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢٣٩/٣.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ٦٤١٦.

(٢) ثقة في حديثه على تدليس شديد في حديثه، ميزان الاعتدال، ٢٦/٤-٢٧.

خولف علي بن المديني من محمد بن أبي بكر المقدَّمِي فرواه دون ذكر التحديث بين الأعمش ومجاهد: أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد ١٨٥، وابن حبان في روضة العقلاء ص: ١٤٨، والطبراني في المعجم الكبير ٣٩٨/١٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٩٧٦٣

وتوبع المقدَّمِي من طرف:

١. الحسن بن قزعة: أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٦٧٦، وابن حبان – الإحسان- ٦٩٨

٢. عمرو بن محمد الناقد: أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢٣٩/٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣٩٨/١٢.

كلهم ثقات، قال الترمذي:" روى هذا الحديث الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر، نحوه"، ومدار الطرق على محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، وهو من شيوخ أحمد، وثقه ابن المديني، وقال أبو حاتم: "صدوق، إلا أنه يهم أحياناً"، وقال ابن معين: "لا بأس به"، لكن قال أبو زرعة: "منكر الحديث"[١]. أورد له البخاري ثلاثة أحاديث في المتابعات [٢]، وساق له ابن عدي عدة أحاديث، - ليس منها هذا الحديث-، ثم قال: "لا بأس به"، ولهذا قال ابن حجر: "صدوق يهم"، **وتوبع الطفاوي، من مالك بن سُعَير:**

قال مؤَمَّل بن إهَّاب من مالك بن سُعَير -وهو صدوق- عن الأعمش به، أخرجه الخطابي في العزلة ص: ٣٩، والقضاعي في مسند الشهاب ٦٤٤، وفي سنده أحمد بن عُبِيد بن إسماعيل النَّخعي، وهو مجهول الحال [٣]، **وتوبع مؤمل فيه، من:**

١. ابن أبي بزَّة: أخرجه الآجري في الغرباء ٢٠، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله البزِّي المقرئ المشهور، لكن في حفظه للحديث شيء [٤].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٩/٩.

(٢) ابن حجر، هدي الساري، ص: ٤٤٠-٤٤١.

(٣) المنصوري، إرشاد القاصي والداني، ١٣٨.

(٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ١٤٤/١.

٢. يحيى بن حسَّان النَّخعي: أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٦٧٨، وصفه ابن حبان بأنه ربما خالف[١].

مجموع هذه الطرق تدل على صحة الحديث إلى مالك بن سعير، فيكون متابعاً لطريق الطفاوي.

توبع الأعمش في حديثه، من طرف:

١. **الليث بن أبي سُليم:** قال سفيان الثوري عن الليث عن مجاهد عن ابن عمر به، أخرجه ابن المبارك في الزهد ١٣، ووكيع في الزهد ١١، والترمذي في السنن ٢٣٣٣، وأحمد في المسند ٤٧٤٦، والآجري في الغرباء ١٩، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٦٧٦، وأبو نعيم في الحلية ٣١٣/١، والبيهقي في الشعب ٩٧٦٥، **وتوبع سفيان الثوري من:**

أ. حماد بن زيد: أخرجه الترمذي في السنن ٢٣٣٣، وابن ماجه في السنن ٤١١٤.

ب. زهير بن معاوية: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٢/١.

ت. أبي معاوية محمد بن معاوية: أخرجه أحمد في المسند ٥٠٠٢ والبيهقي في الشعب ٩٧٦٥.

ث. الحسن بن الحُرَّ: أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٦٣.

ج. محمد بن الفضيل: أخرجه هناد في الزهد ٥٠٠.

ح. فضيل بن عياض: أخرجه الآجري في الغرباء ١٨.

وخالفهم زائدة بن قدامة فرواه موقوفاً أخرجه البيهقي في الشعب ٩٧٦٦، ورفعه أصح لثقة، وكثرة من رفعه، والحديث مداره على الليث بن أبي سُليم، وهو ضعيف.

٢. **أبي يحيى القتَّات:** قال حماد بن شعيب، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد به، أخرجه ابن عدي في الكامل ١٨/٣، و٢١٢/٤، والقتَّات ضعيف. طُعن في الحديث من جهة عدم سماع الأعمش من مجاهد بن جبر، وذكر التحديث في طريق البخاري معلل بانفراد علي ابن المديني به، وإنمَّا دلَّسه الأعمش عن الليث بن أبي سليم، ولم يسمعه من مجاهد، قال العقيلي:" وقال الحضرمي: قال لنا عمرو بن محمد، وذكر

(١) ابن حبان، الثقات، ٢٦٨/٩.

علي بن المديني وقال: "زعم المخذول في هذا الحديث أنه حدثنا مجاهد، وإنما يرويه الأعمش، أخذه من ليث بن أبي سليم"[١]، فطعن فيه هو أحد رواة الحديث- عمرو الناقد-، ونقله عنه العقيلي، مقراً له، ولهذا قال ابن رجب: "تكلم غيرُ واحد من الحفاظ في لفظة: "حدثنا مجاهد" وقالوا: هي غيرُ ثابتة، وأنكروها على ابن المديني وقالوا: لم يسمع الأعمش هذا الحديث من مجاهد، إنَّما سمعه من ليث بن أبي سُليم عنه، وقد ذكر ذلك العقيليُّ وغيره"[٢]، العقيلي نقله عن عمرو الناقد، فذكرهم بالجمع إيهام بالكثرة، وقول ابن حجر أدق لما قال: "أنكر العقيلي هذه اللفظة وهي "حدثني مجاهد" وقال: إنما رواه الأعمش بصيغة: "عن مجاهد"، كذلك رواه أصحاب الأعمش عنه، وكذا أصحاب الطفاوي عنه"[٣].

هذا النظر الحديثي في التعليل مبني على أن صيغ السماع، منها الصحيح، والضعيف، والمنكر، والشاذ، فحالها كحال رواة الحديث، "القول في صيغ التحديث كالقول في الرواة، صحةً وضعفاً، حفظاً وشذوذاً"، فذكر السماع في السند لا يعني صحته، إلا باجتماع شروط أربعة فيه، وهي:

١. صحة الإسناد للراوي المصرّح بالسماع:

حيث لا يقوم الدليل على وهْم أحد رواة السند – فيما دون الراوي المصرح بالسماع- بذكر التصريح السماع، ومثاله قول أبي بكر الأثرم لأحمد بن حنبل: عِراك بن مالك قال: "سمعت عائشة"؟ فأنكره، وقال: "عِراك بن مالك، من أين سمع عائشة؟ ما له ولعائشة؟ إنما يروي عن عروة، هذا خطأ "، قال لي: " من روى هذا؟ "قلت: حماد بن سلمة عن خالد الحذاء، فقال: " رواه غير واحد عن خالد الحذاء، ليس فيه: (سمعت)، وقال غير واحد أيضاً عن حماد بن سلمة، ليس فيه (سمعت)"[٤].

---

(١) العقيلي، الضعفاء، ٢٣٩/٣.

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٣٧٦/٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٢٣٣/١١.

(٤) ابن أبي حاتم، المراسيل، ص: ١٦٢، رقم:٦٠٣.

٢. أن يكون الراوي المصرّح بالسماع يصلح الاستدلال بحديثه:

حيث لا يكون ضعيفاً، ولا منكر الحديث، كتصريح سهيل بن ذكوان بسماعه من عائشة أم المؤمنين، قال عباد بن العوام: " كنا نتهم سُهيَّل بن ذكوان بالكذب، قلت له: "صف لي عائشة"، قال: " كانت أدماء"، فقال أحمد: "وكانت عائشة يقال: شقراء بيضاء"(١)، بل كان سهيل يذكر موضع لقائه بها: فيقول: "لقيت عائشة بواسط"، فقال الحافظ:" وهكذا يكون الكذب، فقد ماتت عائشة قبل أن يخط الحجاج مدينة واسط بدهر"(٢)، ومن ثمَّ اتُهم بالكذب من ابن معين (٣)، وقال الدارقطني:" ادعى أنه لقي عائشة، فقيل: "صفها لنا"، قال: " كانت أدْماء"، فبان كذبه"(٤)، ومثلما كذب في هذا، كذب في غيره: قال علي بن ثابت: "رأيته يقول:" كان النخعي كبير العينين"(٥)، فقال ابن عدي:" حكاه تعجبا من كذبه؛ لأن إبراهيم النخعي كان أعور"، ولذا قال ابن عدي:" ومع ما ينسب إلى الكذب ليس له كثير حديث، وإنما لم يعتبر الناس بكذبه في كثرة رواياته؛ لأنه قليل الرواية، وإنما تبينوا كذبه بمثل ما بينا أن عائشة كانت سوداء وإن إبراهيم النخعي كان كبير العينين وعائشة كانت بيضاء، وإبراهيم النخعي أعور"(٦).

٣. ألا يكون ديدنه ذكر السماع:

بعض الرواة كل حديثه يجعله سماعاً، ولهذا لا يُقبل منه السماع في المواضع المختلف فيها، ومن ذلك ما كان يصنعه فطر بن خليفة: قال عمرو بن علي سمعت يحيى القطان يقول: "حدثنا فطر عن عطاء، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ"، فقلت ليحيى قد حدثنا عطاء وقال:" وما ينتفع بقول حدثنا عطاء، ولم يسمع عن شعبة يقول حدثنا أبو خالد الوالبي، قال أبو

---

(١) عبد الله بن أحمد، العلل، ٩٨٩؛ ابن معين، التاريخ - الدوري-، ٢٤٨٦؛ والعقيلي، الضعفاء، ١٨٢/٢-١٨٣؛ وابن حبان، المجروحين، ٣٥٣/١.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان، ١٢٤/٣.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ١٠٤/٤؛ وابن عدي، الكامل، ٤٤٦/٣.

(٤) الدارقطني، العلل، ٣٠١/٥.

(٥) ابن معين، التاريخ رواية الدوري، ٢٤٨٥.

(٦) ابن عدي، الكامل، ٤٤٦/٣.

حفص ثم قدم علينا يزيد بن هارون فحدثنا عن فطر عن أبى خالد الوالبي نفسه"[١]، ولهذا ساق ابن عدي هذا الحديث في ترجمة فطر[٢].

قال ابن معين قلت ليحيى في حديث فطر: "خَرَجَ عَلِيٌّ وَهُمْ قِيَامٌ"، فقال يحيى:" إنما هو فقال لي حدثنا أبو خالد الوالبي"، قلت ليحيى:" إنهم يدخلون بينهما زائدة وابن نشيط"، قال يحيى: "فإنه أيضا قد قال لي حدثنا أبو الفضل في حصى الجمار"، ثم أدخل بعد ذلك فقال:" فيما بلغني بينهما رجلا"، قلت ليحيى:" فتعمد على قوله حدثنا فلان، قال حدثنا فلان، موصول"، قال:" لا"، قلت:" كانت منه سجية"، قال:" نعم"[٣].

قال يحيى القطان: حدثني فطر قال حدثني أبو إسحاق قال سمعت صلة قال:" سمِعْتُ عَمَّارا"، وكان فطر صاحب ذا سمعت، سمعت، والمسعودي أحفظ من فطر"[٤]، فذكر التسميع منه في الروايات كانت منه من باب السجية، فلا يعتمد على روايته في ذكر التحديث.

٤. السلامة من المعارض المؤثر:

قد يرد ذكر السماع في بعض طرق الحديث، لكن يعارضه ما هو أقوى منه، ما يجعل ذلك السماع ضعيفاً، ورد سماع عبد الجبار بن وائل بن حجر، عن أبيه، لكن هذا السماع ضعيف لا يصح لكون عبد الجبار نفسه صرح أنه كان صغيراً لا يعقل صلاة أبيه، ولهذا توافق أهل الفن على الطعن في صحة هذا السماع[٥].

هلال بن يساف أدرك زمن علي بن أبي طالب، ولم يسمع ممن مات حينئذٍ، قال علي بن المديني: "قلت ليحيى لقطان: الفزاري روى عن ابن أبي خالد، عن هلال بن يساف قال: سمعت أبا مسعود، قال يحيى: أُنكِر أن يكون هلال سمع من أبي مسعود، مات أبو مسعود أيام علي"[٦].

---

(١) العقيلي، الضعفاء، ٤٦٤/٣.
(٢) ابن عدي، الكامل، ١٤٦/٧.
(٣) العقيلي، الضعفاء، ٤٦٤/٣.
(٤) عبد الله بن أحمد، العلل، ٥٠٤٣.
(٥) الجديع، تحرير علوم الحديث، ١٤٢/١.
(٦) ابن أبي حاتم، المراسيل، ص: ٢٢٩، رقم: ٨٥٧.

ولد عروة بن الزبير بعد ست سنين من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وقيل في آخر سنة من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ولهذا استنكروا سماعه من عمر، فقال ابن أبي حاتم:" وسألتُ أَبِي عَنْ حديثٍ رَوَاهُ أَبُو حَيْوَة، عَنْ شُعَيب بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الزُّهْري، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَير؛ قَالَ: كنتُ غلامًا لي ذُؤابَتان، فقُمْتُ أَرْكَعُ بعد العصر، فبَصُرَ بي عمرُ بنُ الخطَّاب ومعه الدِّرَّة، فلمَّا رأيته فَرَرْتُ منه، فقلتُ: لا أعودُ لا أعودُ!! يا أميرَ الْمُؤْمِنِين، فنهاني عَنْهَا؟ قَالَ أَبِي: أُنكِرُ أنْ يكونَ عُرْوَةُ أدرك عُمر؛ فيَحْتَمِلُ أن يكونَ حديثُ شُعَيبٍ وَهَمً"[(١)]، ووافقه الحافظ ابن الجنيد، والمزي، والذهبي، وابن حجر[(٢)].

أما حديث الباب، فقال ابن حجر: "وليث، وأبو يحيى ضعيفان، والعمدة على طريق الأعمش"[(٣)]، ورواية ابن المديني صحيحة، لأجل:

١. ثقة وإمامة علي بن المديني في علم الحديث.

٢. تصحيح البخاري لهذا السماع، ووافقه ابن حبان فقال:" قد مكثت برهة من الدهر متوهما أن الأعمش لم يسمع هذا الخبر من ليث بْن أَبِي سليم فدلسه حتى رأيت علي بْن المديني حدث بهذا الخبر عَن الطفاوي عَن الأعمش قَالَ حدثني مجاهد فعلمت حينئذ أن الخبر صحيح لا شك فيه، ولا امتراء في صحته"[(٤)].

٣. ثبوت متابعة له، قال الفريابي عن الأوزاعي عن عبدة عن ابن عمر قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ:" **اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**". أخرجه النسائي في الكبرى – تحفة الأشراف- ٤٨١/٥، رقم: ٧٣٠٤، والآجري في الغرباء ٢١، وأبو نعيم في الحلية ١١٥/٦، قال أبو حاتم الرازي: "لا أعلَمُ رَوَى هَذَا الحديثَ عَنِ الأَوْزاعي غَيْر الفِرْيابي"[(٥)]، بل **توبع من أبي المغيرة عبد القدوس بن المغيرة**، أخرجه أحمد في المسند ٦١٥٦، وأبو نعيم في الحلية

---

(١) ابن أبي حاتم، العلل، ٤٣١.

(٢) ابن أبي حاتم، العلل، ٤٣١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٠/٢٢؛ والذهبي، سير أعلام، ٤٣٧/٤؛ وابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٨٣/٧.

(٣) ابن حجر، الفتح، ٢٣٤/١١.

(٤) ابن حبان، روضة العقلاء، ص: ١٤٩.

(٥) ابن أبي حاتم، العلل، ١٨٤٥.

٦/١١٥.الحديث رجاله ثقات، لكنه معلل بالانقطاع، قال أبو حاتم الرازي: "ولا أدري ما هو، وعَبْدَةُ رأى ابنَ عُمَرَ رؤية"، وقال ابن رجب: "أدرك ابنَ عمر، واختلف في سماعه منه"[١]، وقال ابن حجر: "اختلف في سماع عبدة من ابن عمر"[٢]، ومثل هذه المتابعة تصلح للاستشهاد لثقة رواتها.

٤. ثبت سماع الأعمش عن مجاهد، وحديثه عنه في الصحيحين، وغيرهما.

هذه الأدلة بمجموعها تدل على صحة الحديث، وأن ذكر السماع صحيح، وليس شاذاً، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

(١) ابن رجب، الفتح، ٢/٣٧٧.

(٢) ابن حجر، الفتح، ١١/٢٣٤.

ترجمة العلامة المحدث

عبد الكريم عباس الأزجي الحسني رحمه الله

الشيخ مرشد الحيالي
باحث في الشريعة الإسلامية

الحمد لله الذي رفع العلم والعلماء، وجعلهم بفضله ورثة الأنبياء، والصلاة والسلام على خير نبي أرسل، وعليه أعظم كتاب أنزل، وعلى آله وصحبه الأتقياء، ومن سار على نهجهم، واقتفى سيرتهم إلى يوم اللقاء.

أما بعد: فهذه سيرة عطرة، وترجمة موجزة لشيخ مشايخنا العلامة المحدث، والفهامة المتحدث، والعالم المربي، والعامل النقي، كنت قد دونتها في دفتر خاص قبل عشرين عاما، ونشرتها بين طلبة العلم الشرعي، والحمد لله على فضله ومنه، وذكرت فيها جوانب هامة من سيرته وعلمه، وصبره في دعوته، وهمته في بث العلم ونشره، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المحدثات على أكمل وجه وأتمه، حتى توفاه الله راضيا مرضيا، أسأل الله أن ينفع بها كاتبها، وقارئها وناشرها، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وستة مباحث وخاتمة وبالله التوفيق، ومنه الإعانة فهو نعم النصير والرفيق ..

توطئة:

يعتبر العلامة عبد الكريم [1] الملقب - بالصاعقة - حلقة الوصل بين علامة العراق اللغوي الآلوسي رحمه الله (صاحب المؤلفات اللغوية والأدبية والشرعية العديدة)، وبين طلاب المنهج السليم المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في بلاد الرافدين، حيث قام الصاعقة بالدعوة لهذا المنهج، ونشره والحث عليه، والتمسك به، وتخرج من مدرسته دعاة مخلصون، وعلماء ربانيون، ومفكرون وطلاب علم متمرسون..

وإذا كان جهد العلامة الآلوسي رحمه الله، وثمرة علمه ظهر في مصنفاته ومؤلفاته التي زادت على الستين مؤلفا، جلها في الدفاع عن المنهج السليم، والسنة المطهرة، والرد على أهل البدع والانحراف، وقلة معدودة من طلاب نجباء أمثال الصاعقة، والمؤرخ

العزاوي، فإن جهد الصاعقة تمثل بترجمة هذه الدعوة إلى واقع ملموس من خلال التربية الصارمة على معاني العلم النافع والدعوة، والصبر على الحق، والرد على مختلف الطوائف المخالفة دون كلل أو ملل، وتخريج دفعة من طلاب العلم نذروا أنفسهم لنشر الحق وفق منهج دعوي قائم على الدعوة بالتي أحسن، والحكمة الموافقة لمنهج الرسول ﷺ في دعوته، فمن هو عبد الكريم الصاعقة، وما هي جهوده الدعوية؟..

المبحث الأول

نبذة مختصرة عن مولده ونشأته:

هو عبد الكريم عباس الشيخلي الحسني، ولد ببغداد في محلة باب الشيخ القديمة – محلة الازج – وإليها ينسب عام ١٢٨٥ -١٨٦٧، وأصل نسبه من عائلة الوزير اليمانية [٢]، ووالده الحاج السيد عباس من التجار المعروفين ضمن أعيان بغداد.

نشأ على الآداب الفاضلة، والأخلاق السامية، حيث كان يحضر مجلس والده الأدباء والعلماء، فرباه أحسن تربية، واهتم برعايته أفضل عناية لكونه الوحيد له.

أولاً: فطنته وموهبته منذ الصغر رحمه الله:

كان المذهب الحنفي هو المذهب السائد في العراق، وعليه غالب المفتين والعلماء مثل الآلوسي – الجد الملقب بأبي الثناء -إلا المناطق الشمالية حيث الأكراد يتمذهبون بالمذهب الشافعي - وبعد أن أتقن القراءة والكتابة والخط دفعه والده إلى أحد مشايخ الحنفية في مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني في باب الشيخ، وفي حلقات العلم سمع الفتى ما يدور في المجلس من إيراد أقوال علماء المذهب، وآرائهم كزفر والحسن وأبي يوسف رحمهم الله، وغالبا ما تذكر بدون الأدلة من السنة المطهرة، فقال الفتى معبرا عن فطرته وذكائه، وأين مذهب رسول الله ﷺ؟، وكأن الله أنطقه بذلك لينصح الشيخ والده بان يأخذه إلى عالم من علماء الحديث، فذهب به إلى علامة العصر وبقية

السلف الإمام نعمان الآلوسي ﷺ صاحب كتاب محاكمة الأحمدين وغيرها من المؤلفات النافعة..

ثانياً: مشايخه ومن تلقى عنهم:

تلقى الصاعقة علومه ومعارفه في بداية أمره ومسيرته العلمية عن العلامة نعمان الآلوسي ﷺ[٣]، فقد درس عليه الفقه والتفسير وعلم الحديث وخاصة الكتب الستة، ونال الإجازة من الشيخ نعمان، وتعتبر دراسته على العلامة نعمان نقطة تحول في مسيرته العلمية حيث استطاع الشيخ نعمان أن يغرس في نفسه حب السنة والتوحيد، ويمتاز العلامة نعمان بأسلوبه الفريد في التعليم والتربية، إضافة إلى سعة علمه ومعرفته بجميع الفنون مما أكسبه خبرة في التربية، وقد نال العلامة محمود الآلوسي من قبل العلامة نعمان قسطا وافرا من التربية الحسنة على معاني العقيدة السليمة. انتقل الصاعقة بعدها إلى الشيخ محمود الآلوسي ﷺ [٤] صاحب المؤلفات الوفيرة فدرس عليه علوم اللغة والأدب والأصول لكونه هو حامل لوائها، ورافع رايتها، ولازمه مدة طويلة، وأخذ عن شاكر الآلوسي [٥] والد فؤاد الآلوسي ﷺ، ودرس على العلامة عبد السلام الشواف النجدي [٦] توفي عام ١٣١٨هجرية وعمر طويلا، وأخذ عنه صحيح البخاري ومسلم، وقد ولدت دراسته على نعمان الآلوسي طموحا لا حدود له في حب السنة والحديث، فبدأ يبحث عنهم ويشد الرحال إليهم، فأخذ منه الصحيحين البخاري ومسلم، وأخذ عن المحدث بدر الدين الحسني[٧]، والعلامة محسن السبيعي، كما التقى بتقي الدين الهلالي[٨] في مسجد الدهان الواقع في الأعظمية، ودرس عنده بعض كتب الحديث، وكان هذا المسجد منطلقا للدعوة إلى التوحيد والتمسك بالسنة، ومن خلاله عرف شباب الأعظمية الطريق إلى المنهج السليم، وسيأتي بيان ذلك، وأخذ عن العلامة شعيب الجزولي، والعلامة عمر الحمداني، وغيرهم كثير غير من التقى بهم أمثال محمد إبراهيم آل الشيخ، والنجدي سليمان بن سحمان ﷺ [٩].

الخانفوري في بغداد:

كانت بغداد عاصمة العلم والثقافة وحاضنة العلماء والفقهاء أيام الدولة العثمانية بالرغم من الظروف الصعبة التي تحيط بها، وكانت محط أنظار العلماء والمفكرين من جميع بلاد العرب والمسلمين، فقد رحل إليها العالم الأثري الخانفوري يوسف حسن البنجابي [١٠]،فوجد العلامة الصاعقة أن الفرصة قد قدمت إليه على طبق من ذهب، خاصة وأن المحدث حط رحاله قريبا من محلته، فأخذ عليه الكتب الستة بل وأجازه بجميع مروياته من علوم شرعية إجازة عامة مع مجموعة ونخبة من تلاميذ الآلوسي، وبحضور العلامة محمود الآلوسي ﷺ نفسه يشارك تلامذته في الدراسة والتحصيل، وقد رزق الله الشيخ عبد الكريم الصاعقة همة في طلب العلم، ورغبة في تحصيله ففي رحلته إلى مكة – بسبب ظروف جعلته يغادر بغداد -التقى بعدد من العلماء كما رحل إلى الهند، وأخذ عن بعضهم أيضا .

المبحث الثاني

مو اقف من حياة الشيخ الصاعقة ﷺ:

عرف الصاعقة في كثير من مواقفه الدعوية بنوع من الحدة والغلظة في رده على أهل البدع، وأهل الكبر والرياسة، خاصة في بداية مشواره، فلم يكن يعرف المداهنة أو المجاملة، ولكن هذه الحدة ممزوجة بالإخلاص والعلم والرحمة المبنية على القواعد والأصول العلمية، ومحبة الهداية للخلق، وإرادة الخير لهم، وفي سائر حياته وتعامله مع الناس وطلاب العلم تجد الشيخ مرحا واسع الصدر، وقد سببت له تلك الحدة مشاكل وصلت في بعض الأحيان إلى محاولة قتله واغتياله ومن تلك المواقف [١١] ما يلي:

١- في حلب سمع الشيخ بجبار من جبابرة الظلم، فخطب بين الناس يدعو إلى الخروج عليه، فصدرت الأوامر بإعدامه وإلقاء القبض عليه ففر إلى نجد، لكنه وجدها فرصة لطلب العلم عن طريق الإجازة من المشايخ.

٢- كانت سياسة التتريك بلغت حدا دفع الشيخ إلى إلقاء خطبة حماسية خرج على أثرها مظاهرة وصلت إلى القشلة – ديوان الحاكم ومركز الولاية ببغداد –، فصدرت الأوامر بإلقاء القبض عليه ففر إلى حلب، وحدثت له مواقف مشابهة مع الملك فيصل لكنه طلب نقله إلى مسجد الجيد خانة إلى الجوبة، ومواقف أخرى مع بعض ضباط الجيش.

٣- حدثني غير واحد من تلامذته كالشيخ نوري وعبد الحميد، والشيخ عدنان الطائي ﷾ أنه في إقامته بمكة كان يقوم بواجبه في الأمر بالمعروف بأمر من بعض أمرائها – الشريف حسين –، فرأى في بعض مجالس الأمراء من الأسرة الحاكمة جواري ونساء يخدمن الأمير، حيث كانوا يعتقدون بجواز التسري، وانهن إماء مملوكات في نظرهم وعرفهم، فأنكر ذلك اشد الإنكار دون أن يلتفت إلى مقام الأمير، فأزعج هذا الإنكار مزاج الأمير فكاد الأمر أن ينتهي بقتله لولا ذيوع صيت الشيخ بين العلماء والأعيان ودفاعهم عنه، فرحل إلى دولة الكويت، وعند دخوله الى دولة الكويت ومكوثه فيها نجى من الموت المحتم هناك بأعجوبة، وذلك أنه خرج من المسجد فأرسلت إليه الدولة العثمانية جاسوسا تأمره بقتل الشيخ، فقتل آخر مكانه يشبه في القامة والشكل والصورة، والشيخ ﷾ كان شجاعا بطلا لا يهاب الموت، ولا يخاف من سطوته، وهبه الله قلبا شجاعا، وهمة وعزيمة قوية لا تنكسر، وقد قيل عن شجاعة الشيخ ﷾ إنه قاتل مع الملك عبد العزيز آل سعود ﷾ في كثير من معاركه والله أعلم ..

٤- مما كان يزعج الشيخ ويعكر مزاجه رواية الأحاديث الموضوعة بحجة الترغيب أو الترهيب، وخاصة على المنبر الدعوي، وقد حدث أن روى الشيخ نجم الدين الواعظ [١٢]حديثا من هذا القبيل في مسجد حنان، فوقف الشيخ منددا له معارضا بعد الخطبة، وقال إن لم تصعد المنبر وتقول إني كذبت على رسول الله ﷺ وإلا فعلت بك كذا بالسلاح – كان الشيخ من عادته حمل السلاح-، وربما هي عادة معروفة لدى البغداديين آنذاك – فلم يكن بد من الشيخ الواعظ إلا أن يمتثل لقول الصاعقة خوفا من بطشه، فصعد المنبر وقال: إني كذبت على رسول الله ﷺ والحديث ليس في البخاري أو نحوه .

٥- وقريبا من ذلك سمع الصاعقة عن الشيخ محمود الصواف ﷺ [١٣] أنه يذكر كلاما مفاده التزهيد من قراءة كتب الحديث، وأن الوقت إنما للرد على الشيوعيين، والأفكار الهدامة إلى غير ذلك من تلك الشنشنة التي تعودنا سماعها في كل زمان ومكان، فوقف له الصاعقة بالمرصاد، وحدث ذلك في يوم عيد، فلما أراد الصواف مصافحة الصاعقة امتنع وقال له (يا عدو الوحيين – الكتاب والسنة – لم تمنع الناس من قراءة الحديث أو نحوه ؟!).

جريدة الصاعقة:

في بداية عنفوانه وشبابه، وبعد رجوعه إلى بغداد لم يهدأ له بال من سياسة التتريك الظالمة، فأراد أن يفضحهم إعلاميا، ويكشف زيفهم بعد أن عجز من مواجهتهم بالحجة، ومن خلال تأسيس جريدة يكون هو صاحب الامتياز ومحررها، فأصدر تلك الجريدة التي عرف بها تنتقد بقوة وبأسلوب ساخر لاذع موقف الدولة العثمانية من لغة الضاد، ومحاولة طمسها وفرض سياسة الترك على بلاد العرب والعروبة، فكان أول عدد صدر منها بتاريخ: ٨-٥-١٩١١، وسرعان ما أمرت السلطات العثمانية بمنع إصدارها، علما أن فيها مقالات أدبية وسياسية وعلمية، وآخر التطورات والمستجدات في العلم والمعرفة، وتبلغ ثماني صفحات تقريبا للعدد الواحد، وقد اطلعت على قسم منها مصور من شيخنا صبحي السامرائي، وبحثت عن باقي الأعداد في المكتبة الوطنية لأيام وأسابيع فلم أعثر منها على عدد واحد.

وظائفه التي تنقل فيها:

لم يتم تعيينه في وظيفة حكومية لموقف الحكومة العثمانية منه، إضافة إلى قناعته وزهده ورضاه بما قسم الله له، وعيشه على الكفاف، وقد وجد في خدمة بيت الله خير معين على العلم وتعليمه، ففي عام ١٩٢١ كان خطيبا وإماما في مسجد المهدية، وفيه كان مشايخ بغداد أمثال المفتي قاسم القيسي [١٤] يسأله عما أشكل عليه في مسائل الحديث والفقه.

ثم انتقل واعظا في مسجد الحيدر خانة – شارع الرشيد – وكان يدرس تفسير الخازن وصحيح البخاري حيث يتجمع حوله طلاب العلم من كل حدب وصوب، يستفيدون من علومه ومعارفه.

ثم مسجد صدر الدين وذلك من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٨، ثم مسجد عثمان أفندي عند شارع المتنبي، ومن باب الوفاء كان الشيخ صبحي السامرائي[١٥] كثيرا ما يصلي فيه ويتردد إليه .

المبحث الثالث

علومه ومعارفه:

للشيخ باع في الأصول وعلم اللغة والأدب، وله معرفة واسعة بكتب التفسير المنقول والمعقول والفقه، حافظا لأقوال الفقهاء وآرائهم، له ملكة قوية على الترجيح بين الأدلة وموفقا بينها، بل وصل إلى رتبة الاجتهاد كما سمعنا ذلك من الشيخ صبحي ﷾، أما معرفته بفتاوى الشيخ ابن تيمية وابن حزم ﷺ فانه قد حاز قصب السبق فيها، وغالبا ما كان يستشهد بها ويستدل بها في مجالسه ومؤلفاته، وقد عرف بانفراده بآراء عن علماء الأمة من خلاله دروسه وفتاويه، وتأييده له، وقد سجلتها من أفواه تلامذته، ومنها:

١- يرى ﷾ وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في السرية والجهرية، ويتبع في ذلك رأي البخاري ﷾ في صحيحه.

٢- مسح الخف ظاهرا وباطنا – أسفل منه - كما هو مذهب أتباع الشافعي ﷾[١٦]، ولهم في ذلك طريقتان مبسوطة في موضعها، وفيه خلاف بين العلماء مع اتفاقهم على أن اسفل الخف مسحه سنة، والمسح على الجورب شرط بعض الفقهاء فيه جملة من الشروط مثل: تتابع المشي أو عدم وجود خرق ونحوه.

٣- ويرى أن المطلقة بالثلاث في مجلس واحد تقع عليها تطليقة واحدة، كما أن طلاق الحائض لا يقع، وأن من طلق زوجته في طهر جامعها فيه لا يقع، وهو ما ذهب إليه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ﷺ.

٤- يرى كفر تارك الصلاة كما هو رأي الإمام أحمد، وأحيانا يأتيه السائل في قضايا فقهية فيسأله هل تصلي ثم يجيبه على هذا الأساس ويبني الفتوى عليه، إلا أنه كان حكيما حليما في دعوته، واسع الصدر يبذل النصح لمن جاءه يريد الهداية، ويبغي السمع والعناية.

٥- جواز حرق كتب أهل البدع وأتلافها حسب القواعد المقررة حفاظا العقيدة السليمة، وصيانة للدين القويم، وطهرة للقلب السليم، لئلا تقع بيد من لا يعرف ضرها، ولا يفرق بين خيرها وشرها، وقد أوصى بحرق كتب المنطق والفلسفة وعلم الكلام، وكتب البدع إلا إن وصيته لم تنفذ.

٦- للعالم الأخذ بالعزيمة، وتربية النفس على المكارم، ومجاهدة النفس ومحاسبتها على الهفوة لأن العالم قدوة ليس كغيره، كما عرف عن سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، ولذا كان العلامة الصاعقة يأخذ بها، ويلتزم بها في دعوته، وفي خاصة نفسه، ويلزم نفسه بأمور لا يلزم بها غيره، فإن ما يسع الواحد ربما لا يسع الجماعة كما هو مقرر.

٧- معاملة أهل البدع بشيء من الحدة والغلظة حسب الحال والمقال والظرف، لأن البعض منهم لا ينتهي إلا بهذا الأسلوب، ولا يرعوي إلا إذا أخذ على يده، وشدد عليه في القول والفعل، ولله في خلقه شؤون.

٨- وله أراء واجتهادات لو بحث عليها منصف في مؤلفاته لتجمع له منها كتاب صغير، ولعل الوقت يسمح لنا بذلك، وتتبع آرائه واجتهاداته ﷺ.

المبحث الرابع

منهجه في التعليم:

وهو من أهم فصول هذا البحث، حيث اتسم منهج الشيخ العلمي بجملة مميزات، وعدة صفات، جعلت الكثير من طلبة العلم يقبلون على التعلم، والدراسة عليه، وينهلون من مورده العذب، ويأخذون من مشكاته الصافية، ومنها:

١- **الاهتمام بجانب العقيدة**، وتخليصها من شوائب الشرك وأدرانه، لأنها تحمي طالب العلم من الوقوع في حبائل الشرك وأنواعه، وتغرس فيه التوحيد وتزرع في نفسه الثقة، وسائر الأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة، ومن الكتب التي كان يعتني بتدريسها كتاب (حق الله على العبيد) لشيخ الإسلام ﷺ، أو فتح المجيد، ولاشك أن الأصل إذا استقام سهل على المسلم الاستجابة لبقية الفروع الإسلامية، وهو ما كان يؤمن به، وينافح عنه، ويسير عليه في جميع مراحل حياته الدعوية ﷺ.

٢- **علم الحديث بفروعه** كمصطلح علم الحديث، وعلم الجرح والتعديل، والتوفيق بين الأحاديث، وتراجم الرواة وغير ذلك، وقد أخبرني تلامذته أن الشيخ ﷺ انفرد بفن التوفيق والجمع بين الأحاديث التي ظاهرها الاختلاف، وباطنها التوفيق والائتلاف، وله مصنف لطيف في هذا، وكان يعرض على تلامذته هذا الفن لاختبار ذكائهم، ولذا اهتم الشيخ بتدريس علم الحديث ليكون الطالب قادرا على التمييز بين الصحيح من غيره، فدرس إلى جانب المصطلح – كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم، والكفاية للخطيب والباعث الحثيث إلى جانب الكتب الستة بالسند، ومسند أحمد، ورياض الصالحين .

٣- **التربية الحقة على معاني العلم**، وذلك من خلاق التخلق بآداب الإسلام، والتحلي بفضائله، ومن ثم الدعوة إليه ليكون العالم كالكتاب المفتوح يرى الناس من خلاله معاني الحق، فيهتدون بهديه، ويتخذونه مثالا في الخلق والعمل، ومن تلك التربية الحقة الصارمة على معاني الحق نشأ طلابه، وتربى تلامذته، فنشروا علم التوحيد في ربوع العراق من جنوبه الى شماله، فأحبهم الناس، والتفوا حولهم لما لهم من دعوة بالحكمة، ومن دون ضوضاء، ومنهم شيخنا نوري وصبحي السامرائي، وغيرهم سنأتي على ذكرهم.

٤- **الوضوح والتدرج في التعليم**، فيبدأ بصغار العلم قبل كباره، وأصوله قبل فروعه، لأن المقصود هو التربية والتعليم، وتنشئة الأجيال على الحق والعمل بموجبه، والتخلق بأخلاق الإسلام، وقد كان مجلس الشيخ متاح للجميع بمن فيهم المبتدئ لينهل من مورده، ويأخذ من معينه، ولم يضع الشيخ ﷺ أي حاجز بينه وبين مريديه، فعلوم

القران والسنة مشاعة للجميع على خلاف دروس المتصوفين والمتكلمين التي لم يكن باستطاعة أحد أن يستوعبها فضلا عن عوام الناس.

المبحث الخامس

طلابه وتلامذته:

إن ثمرة الشيخ الصاعقة رضي الله عنه، وجهوده العلمية تمثلت بنخبة من الدعاة المخلصين، والعلماء الربانين، والخطباء والأئمة والمصلحين، الذين كان لهم الدور في نشر التوحيد والسنة في العراق، ومن دون إحداث أي زوبعة أو ضوضاء، بل تم ذلك بتقسيم الأدوار، وترتيب الجهود وتكاتف الأيادي، والتعاون المثمر أشبه ما يكون بتنظيم للعمل، ومراعاة الظروف، ولاشك أن تنظيم العمل والإعداد له دون التحزب أو التعصب هو مما حث عليه الإسلام، ورغب فيه، ومن المع تلاميذ الشيخ:

١- **شيخنا صبحي السامرائي**: وهو العمدة في الرواية، وصاحب الهمة في الدراية حقق ونقح أكثر من مئة مخطوط في الحديث وعلومه، فقرأ على الشيخ الصاعقة جل مروياته من كتب الحديث، وذلك في مسجد (المهدية) قرب محلة الفضل، ومسجد عثمان أفندي – شارع المتنبي -وأجازه بكل مروياته، وهو من أعلم تلاميذ الشيخ بعلم الحديث، وفي التحقيق ومعرفته بمخطوطات الحديث في العالم لا يشق له غبار، ولا يسبقه أحد في هذا المجال.

٢- **شيخنا أبو عذراء عبد الرزاق البريد في مسجد العساف**، وهو من دعاة التوحيد والسنة، وقد نفعنا الله بدروسه في مصطلح الحديث أنا والشيخ إياد القيسي من خلال قراءة كتاب الباعث الحثيث، وهو مثال للتواضع وبذل العلم والسخاء، وبذل المعروف رحمه الله وكان تلك الأيام من أفضلها وأجملها وأعظمها.

٣- **الشيخ الجليل نوري أحمد المرسومي** رحمه الله لازم مسجد الجمعة بالأعظمية يشبه السلف رحمهم الله في خلقه وسمته وهديه، درسنا عليه كتاب فتح المجيد، وهو خير مربي ونعم المؤدي انتفع من علمه وحفظه للأحاديث جمع غفير من الشباب وكبار السن فضلا عن سائر المصلين، اختفى آخر أيامه في بيته بالإسكان، له مؤلفات

صغيرة، لم ينشر منها شيئا منها رسالة في(بدعية السنة القبلية للجمعة) كلفني بنشرها، والشيخ نوري حافظ لكتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، لم يصب بالنسيان رغم عمره الذي تجاوز الثمانين، وكان يقطع المسافات الطويلة في تبليغ الدعوة رغم كبر سنه، أوصاني بوصية نافعة قبيل وفاته رحمه الله.

٤- عبد الحميد نادر صاحب الأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، والعجيب في هذا الرجل أنه على جلالة قدره وفضله لم يثر حوله أي زوبعة، فقد كان يعمل في سوق هرج – ببغداد بداية شارع الرشيد -إلا أنه كان له دور عظيم في نشر التوحيد في العراق، وقد كان كتوما في أسراره وأعماله، خدوما للمسلمين، متواضعا لهم، محبا لسائرهم، وقد نفعني بمعلومات عن شيخه الصاعقة رحمه الله.

٥- الشيخ عدنان الطائي رحمه الله المعروف بقلعة صالح لكونه نشأ فيها، وترعرع فيها حيث ولد بالزبير عام ١٩٣٣، والتقى بالصاعقة في مسجد المهدية، وقرأ عليه التجريد في سنتين ونصف تقريبا، وقد اهتم بتدريس كتاب التجريد، والمشكاة وأعلام الموقعين، وكتب أخرى، وهو مثال للتواضع وبذل العلم، وكثيرا ما كانت تأخذه العبرة، ويجهش بالبكاء إذا ذكر عنده الصاعقة، له همة في نشر التوحيد في مناطق عرفت بكثرة البدع والشركيات كالعمارة وقلعة صالح، وقد ألف مذكرة له تضمنت الأحداث التي مرت به خلال حياته، وقد صورتها ونسختها، ولكنها لم تطبع، توفي ليلة الأربعاء من عام ١٤٢٤ بعد أن قرأ عليه بعض تلامذته التجريد الصحيح، وصلي عليه في مسجد حسن البارح، ودفن في مقبرة أبي غريب رحمه الله رحمة واسعة ..

٦- الشيخ عزت العزيزي الاردني، كان يذكر أمامي كثيرا، وأنه صاحب علم وتقوى رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وألحقنا وإياه مع الصالحين الأبرار.

٧- صالح سرية، والذي قاد انقلاباً عسكرياً في مصر، ولكنه باء بالفشل فأعدم على إثرها.

٨- الشيخ عبداللطيف الصوفي[١٧]: هو عبد اللطيف بن خليل بن خضر ولد في أم الربيعين نينوى من عام ١٩٣٠، ونشأ فيها، في محلة (عبدو خوب)، واختص بعلم

القراءات حتى أصبح علما يشار إليه بالبنان، أجيز من محمد صالح الجوادي، والشيخ عبد القادر الخطيب ببغداد أيام دراسته بكلية الشريعة، ومن الشيخ شيرزاد والشيخ محمد العربي، وقد أخبرني الشيخ عبد اللطيف الصوفي أنه قرأ رياض الصالحين على الصاعقة أيام وجوده في مسجد المهدية في فترة الخمسينيات مع جملة من طلاب الكلية في شهر، والشيخ الصوفي يبلغ الآن من العمر الثمانين، وله أكثر من ٢٥ مؤلفا في علم القرآن والقراءات، ولايزال يدرس ويعلم لم يصبه النسيان وفقدان الذاكرة .

٦- محمد أحمد الراشد: ولد ببغداد عام ١٩٣٨، واسمه الحقيقي عبد المنعم صالح العلي العزي من قيادات الإخوان بالعراق، هاجر بعد حرب الخليج يقول الشيخ الراشد (وقرأنا عليه- أي الصاعقة - صحيح البخاري، وكنا نذهب له في الأسبوع مرتين أو ثلاث) [١٨].

المبحث السادس

مكتبته وتراثه:

وفيما يتعلق بمكتبة الشيخ فقد أوصى بتلك المكتبة أن توقف في جامع الدهان المسجد الذي كان يلتقي فيه بشيخه الهلالي ﷺ، وقد كتب مرسوم الوقف بحضور قاضي وشهود من تلامذته هما: شيخنا نوري، وشيخنا وعدنان الطائي ﷺ، وأعطاهم مالا قدره ٤٠٠٠ دينار عراقي، ورثه من أقاربه للحفاظ على المكتبة و شراء الكتب التي تهتم بمنهج السلف، ولي قصة مع هذه المكتبة فمن باب البحث عن كنوز ومخطوطات العراق حاولت وبشتى ما يمكن من الوسائل للاطلاع على ما تحويه تلك المكتبة من مخطوطات، وكتب أثرية ولكن باءت تلك المحاولات بالإحباط، وكنت كمن يبحث عن الماء في الصحراء فلا يجد إلا السراب، خاصة إذا علمت أن المسؤول عن تلك الغرفة هو الشيخ مولود التركي الأصل ﷺ، وبفضل الله كانت لي همة لا تعرف الملل، فقد اتصلت ببعض الأصحاب في وزارة الأوقاف، فتمكن من الحصول على تصريح يخول لصاحبي جرد ما في المكتبة من مخطوطات وكتب، فتبين لي أن المكتبة تحوي دوريات، ومجاميع لمجلات عصرية، وكتب بمثابة المخطوط من ناحية قيمتها لكونها طبعت بمطابع حجرية، أما المخطوطات [١٨] فبعضها: لا يستحق أن يذكر لكونه من كتب أهل

البدع، والبعض أجزم أنه ليس بمخطوط، والبعض الأخر يستحق أن ينفق عليه الأموال للحصول عليه، ٧ وقد قمت بتصويرها مثل الصارم المنكي، ومنهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام رحمه الله.

مؤلفاته:

بالرغم من أن العلامة الصاعقة لم يكثر من التأليف بسبب انشغاله بالدعوة والتربية والتوجيه، ومؤلفاته رغم قلتها فهي قيمة في بابها نافعة في مجالها، فريدة في مجالها، وكلها تصب في خدمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنها:

١-أصول الحديث يتعلق في مصطلح الحديث وعلومه.

٢- التوفيق بين الأحاديث وهو محاولة للجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض.

٣- رسالة في أصول الفقه وهي متوسطة الحجم كما ذكر شيخنا صبحي.

٤- الرد على علماء الحنفية في بعض فتاويهم التي تعارض الأحاديث الصحيحة.

٥- الإجازة العلمية وثبته ومروياته رحمه الله.

٦-فتاوي فقهية قائمة على إيراد المسائل مع أدلتها.

٧- نظرات في التفسير وهو رد على بعض التأويلات الفاسدة المخالفة، والرد على الإسرائيليات الموضوعة أو الضعيفة وغير ذلك، وكلها لم يطبع منها شيء، وهي الآن تنتظر من يكشف عنها النقاب [١٩]، ويميط عنها اللثام، ويخرجها من محبسها بين الرفوف.

المبحث السابع

وفاته:

أصيب بمرض في رأسه – ورم– لم يمكنه من الحركة والخروج بحرية، ولم يكن له من يخدمه، حيث زواجه لم يستمر– من ابنة عمه -،وكان له خادم في المسجد توفي في منزله حرقا رحمه الله، ولزم فراشه وعلى الرغم مما أصابه من ضيق وبلاء، كان طلاب

العلم وأعيان البلد من علماء وكبار يأتون لزيارته، ويستفتونه على تلك الحال، فكان يجيبهم بذهن حاضر، ولسان بليغ، وحبا للنصح، وبعد حياة عامرة بالعلم والعمل والدعوة، والصبر على الأذى توفي من عام ١٩٥٩، وكانت جنازته مهيبة، ودفنه ومن شيعه إلى مثواه جمع غفير، وهذه هي جنائز أهل السنة والجماعة كما قال قائلهم بيننا وبين أهل البدع والأهواء يوم الجنائز.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل ما قدم من دعوة وصبر وجهاد وعلم شهادة له يوم الدين، ورفعة له في عليين، والحمد لله رب العالمين ...

نموذج من سند الشيخ الصاعقة في نزهة النظر مثلا لبعض تلامذة لشيخنا صبحي السامرائي ﷺ:

ثنا الشيخ صبحي قال ثنا الشيخ عبد الكريم الحسني الشيخلي المعروف بالصاعقة والشيخ محمد الحافظ التيجاني والشيخ محمد بن عبد الوهاب البحيري والعلامة حبيب الرحمن الاعظمي والعلامة عبيد الله بن عبد السلام الرحمان أما الحافظ التيجاني فيروي عن بدر الدين الحسني عن البرهان إبراهيم السقا عن الأمير الصغير عن الأمير الكبير عن السقاط عن النخلي عن البابلي عن السنهوري عن الغيطي عن زكريا الانصاري عن الحافظ بن حجر العسقلاني ﷺ، وقال الشيخ عبد الكريم الشيخلي اخبرنا الشيخ يوسف ابو اسماعيل الخانفوري (ح) وقال العلامة عبيد الله الرحماني: اخبرنا ابو العلى محمد بن عبد الرحمن المباركفوري كلاهما (الخانفور والمبار كفوري) عن العلامة المسند شيخ الكل في الكل محمد نذير الدهلوي عن العلامة ابي سليمان محمد بن اسحاق الدهلوي عن ابي طاهر محمد المدني الكردي ابن الشيخ إبراهيم الكوراني صاحب (الأمم لإيقاظ الهمم)وعن الشيخ تاج الدين القلعي كلاهما عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن احمد بن محمد القشاش المدني عن احمد بن محمد الرملي عن الزين زكرياء الانصاري عن الحافظ بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة[٢٠].

ونختم هذا البحث بقصيدة نظمتها في مدح الشيخ الصاعقة ﷺ وهي من البحر الكامل

عبد الكريم له قصيـــــدي مادحاً***بعلومه فردٌ من الأفــراد
شـيخٌ به نقّى الحديثَ روايـــةً ***ودرايـةً في صحـــة الإسنادِ
بك يعرفُ الناسَ الحديثَ وشرحهِ***علماً وتعليماً مع الاشهادِ
جمعَ الفضائلَ والخصالَ جميعها***حبرُ الانامِ معلمُ الاحفادِ
لم تحملْ الحقدَ البغيض لمسلمِ ***فالعفو ديدنه مع الحسادِ
وصدعتْ بالحقِ جهاراً لم تخفْ***عند الشدائدِ معلمُ الاسيادِ
يردي العدا بصواعقٍ متمســـكٍ ***بعقيـــدة في قوةٍ الاوتـــادِ
بضيائهِ كشـــفَ الدجى متوقدٌ ***محي الهدى ما مثله ببلادي
يدعو الانامَ الى الرشادِ بمنهجٍ***يبغي الحقيقةَ ملهمُ الامجـــادِ
طوبى لك الحسنى غداً مستبشراً***تلقى النعيمَ بصحبةِ العبادِ

---

(١) هذه ترجمة جمعتها من أفواه تلامذته ومحبيه وزدت عليها فوائد وشوارد لم تذكر من قبل.

(٢) انظر ترجمته ايضا في: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري. المؤلف: يونس الشيخ إبراهيم السامرائي. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. الطبعة: (١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م).

(٣) ولد العلامة نعمان الآلوسي ﷺ في بغداد سنة ١٢٥٢ هـ/١٨٣٦م. وتوفي في بغداد عام ١٣١٧ هـ/١٨٩٩م، ودفن في جامع مرجان. له ترجمة فيما يلي: والدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر (٣٤)، والمسك الأذفر (١١٠)، وتاريخ العراق بين احتلالين (١٣٤/٨) عباس العزاوي، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر (٦٩٥) يونس السامرائي.

(٤) ولد العلامة محمود شكري الآلوسي في بغداد عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م،وتوفي في يوم الخميس ٤ شوال ١٣٤٢ هـ الموافق ٨ آيار ١٩٢٤م، ودُفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في بغداد، وقد كتبت له ترجمة وافية نشرت في موقع الالوكة ...

(٥) ولد العلامة شاكر الالوسي في بغداد يوم السبت ١٩ صفر ١٢٦٤ هـ/٢٦ كانون الثاني ١٨٤٨م، وهو أصغر أبناء الشيخ أبي الثناء الآلوسي، توفي في مدينة إسطنبول عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، عن عمر ناهز ٦٣ عاما.

له ترجمة في (البغداديون أخبارهم ومجالسهم - إبراهيم عبد الغني الدروبي - مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٨م انظر مجلس الآلوسي - صفحة ٢٤٨.

(٦) انظر في ترجمته: (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)، تأليف السيد محمد سعيد الراوي البغدادي بتحقيق: عماد عبد السلام عبد الرؤوف، الطبعة الاولى بغداد ١٩٩٧ الرقم ٥٩ بيت الشواف.. " الاستظهار " في شرح الإظهار، وقد تقدم الطالب حامد ماجد في كلية الآداب من خلال اطروحة لبيان هذا الكتاب مع ترجمة وافية للمؤلف..

(٧) ولد بدر الدين الحسني في دمشق سنة ١٢٦٧هـ الموافق لـ لسنة ١٨٥٠ م، وتوفي يوم الجمعة الواقع في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٥٤هـ الموافق لسنة ١٩٣٥ م في دمشق وقد دفن في مقبرة الباب الصغير، له ترجمة في الاعلام لخير الدين الزركلي (ط. الخامسة عشرة)، بيروت - لبنان: دار العلم للملايين،، ج ٨، ص ٢٣٧، كان ذو حافظة متفوقة، وكان يحفظ جميع أحاديث البخاري ومسلم وباقي الصحاح الستة، مع أسانيدها وتواريخ الرواة، وتواريخ ولادتهم ووفاتهم ودرجتهم من الصحة.

(٨) (ولد ١٣١١ هـ، بوادي سجلماسة - توفي ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ / ٢٢ يونيو ١٩٨٧م) محدث ولغوي وأديب وشاعر وفي ١٩٤٧م سافر الشيخ الهلالي إلى العراق، وقام بالتدريس بالجامعة في كلية الملكة عالية ببغداد كأستاذ مساعد ثم أستاذ، وبقي إلى ١٩٥٨م حين قام الانقلاب العسكري في العراق، فغادرها عام ١٩٥٩م إلى المغرب مسقط راسه له ترجمة وافية مفصلة من موقع موقعه الرئيسي على شبكة الانترنت ...وانظر علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ص: ١٩٣.

(٩) ولد في قرية السقا من أبها في منطقة عسير عام ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٥٠م وكف بصره في آخر حياته، توفي في الرياض "وتوفي سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م.له ترجمة في الأعلام - خير الدين الزركلي (٣ / ١٢٦) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان المحقق: عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، حيث تضمن ترجمة وافيه له.

(١٠) تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر (ص٤٣٧) وانظر مقال نافع ماتع لأخينا الشيخ محمد زياد التكلة بعنوان: (ترجمة العلامة يوسف حسين الخانفوري) (١٢٨٥– ١٣٥٢هـ) نشر على موقع اهل الحديث.

(١١) هذه المواقع والحوادث سمعتها مرارا من مشايخنا امثال: الشيخ عدنان عندما كنت ادرس التجريد عليه والشيخ نوري من مسجد جمعة وغيرهم ...

(١٢) الشيخ نجم الدين عبد الله احمد رجب الشهير بالواعظ، ويرجع نسبه الى عشيرة المعاضيد ولد سنة ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م توفي رحمة الله عليه يوم الخميس ٢٧ جمادى الأول ١٣٩٣هـ، الموافق ١٩٧٣/٦/٢٨م، ودفن في مقبرة الخيزران، قرب مرقد الشيخ محمد القزلجي. انظر تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري - يونس ابراهيم السامرائي

(١٣) الشيخ الصواف له ترجمة في محمد حيدر رمضان – تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم – بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، وانظر من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م. للكاتب عبد الله العقيل.

(١٤) له ترجمة في مجلة التربية الإسلامية - تصدرها جمعية التربية الإسلامية، بغداد، العدد الثالث- السنة الخامسة والثلاثون - اذار - ٢٠٠١ م. رثاه الرصافي بقصيدة رائعة من الطويل مطلعها:

إذا قاسم القيسيُّ مَرَّ بخاطري** تذكرت عهدًا في الصبا مَرَّ كالحلْمِ

تذكرته إذ كنت للعلم طالبًا ***بفكري ودمعي جاهد النفس والجسم
فقد كنت أحيانًا أزور فِناءه ***وأنتابه للرشف من منهل العلم

(١٥) نشرت له على موقع الالوكة بعنوان: (المسند المحقق الشيخ صبحي السامرائي)، وصدرت رسالة ماجستير عن جهوده العلمية والدعوية بعنوان: (الشيخ صبحي السامرائي وجهوده في خدمة الحديث)، للطالب احمد حسن جابر، وهي جيدة لمن أراد أن يتعرف على الشيخ ومؤلفاته، ومن تخرج على يديه من تلاميذ.

(١٦) قال الشافعية ان السنة أن يعمم المسح على ظاهر وباطن الخف خطوطاً كالمالكية، بأن يضع يده اليسرى تحت العقب واليمنى على ظهر الأصابع، ثم يمر إلى ساقه أي إلى آخره انظر المراجع التالية: مغني المحتاج (٦٧/١) وبداية المجتهد (٤٠/١)، وروضة الطالبين (٦٣٠/١).

(١٧) كتبنا له ترجمة وافية نشرت في مواقع عدة، والشيخ لايزال حيا يدرس ويُعلِّم ويُقرئ بالرغم من كبر سنه..

(١٨) من موقع الشيخ الراشد المختص به

(١٩) بدليل أني قمت بجردها ووجدنا بضمنها كتب أهل المنطق والفلسفة وأهل البدع، وربما لم يتمكن تلامذته من الحصول عليها، أو لم يتفرغوا لذلك والله اعلم.

(٢٠) من موقع كل السلفيين والسند أورده الشيخ عماد بن محمد بن نايف الجنابي البغدادي، وهو إمام وخطيب جامع الإمام احمد بن حنبل في الفلوجة -احد تلامذة الشيخ صبحي السامرائي، وذلك رواية كتاب النزهة والبيقونية بالسند المذكور إلى شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني...

الانسجام الصوتي في الأحاديث القدسية-دراسة تحليلية من منظور بلاغي

(القسم الثاني)

إيقاع الصوت ودوره في تحقيق الدلالة في الأحاديث القدسية

"الأساليب المتشكلة في أثناء تتابع عرض الأحداث"

أ. د عقيد خالد العزاوي
الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

إنَّ هذا التتابع في عرضِ الأحداث تماهى معَ حضور الأساليب التي تشكلَتْ في أثنائه، واتَّحدتْ معَ صورةِ المنحنى الجامع لغرض الحديث وفكرته، وقد جاءت الأساليب على النحو الذي سنعرضه:

أوَّلًا: الأسلوب الخبري، المتمثل في بدء الحديث؛ حيث تصوير حال النبي ﷺ عندما رفع رأسه للسماء، وخفضَه.

ثانيًا: أسلوب النداء، المتمثل في خطاب الصحابة حول النبي ﷺ له، لأجل السؤال عن أمرِه.

ثالثًا: أسلوب الاستفهام المباشر بعد النداء، المتمثل في قول الصحابة رضي الله عنهم: لم صنعتَ هذا؟

رابعًا: الأسلوب الخبري، الذي يقرر من خلاله النبي ﷺ الخبر الواردَ.

خامسًا: أسلوب النداء، الذي مصدره حديث الملَكين مع الله – عز وجل- عن هذا الرجل.

سادسًا: أسلوبا التوكيد، والنفي، على لسان الملَكين؛ حيث يقولان: قد حبسته، و لم نكتب له شيئًا.

سابعًا: أمر الله – عز وجل- لهذين الملَكين أن يكتبوا عمل العبد في يومه وليلته.

ثامنًا: النهي عن أنْ ينقصا من عمله شيئًا.

شكّلَتْ هذه الأساليبُ في حضورِها تنوعًا أضفى على النص القُدسي رونقًا أدَّى إلى تكاتف المعنى الضمني للحديث وتكامله معه، حيث النتيجة المبتغاة أنْ يُكتبَ عمل العبد وألا ينقص منه شيءٌ، وأنَّ عملَ العبد باقٍ أثرُه حتى بعد وفاته، وأنَّ ما عند الله لا يضيعُ، فصحائف الأعمال لا تُغلق بعد موت صاحبها.

ومن هذا التنوع الأسلوبي ما يرويه أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله عزوجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلمْ تَعُدني، قال: يا رب كيف أعودُك و أنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلانًا مرضَ فلم تعدْه؟ أما علمتَ أنَّك لو عدتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تُطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك و أنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تُطعمه؟ أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتُك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك و أنت رب العالمين؟ قال: استسقاكَ عبدي فلانٌ فلم تسقِه، أما إنك لو سقيته وجدتَ ذلك عندي"[(١)].

يقر هذا الحديث بحق الأخ على أخيه، من حيث السؤال عنه، وعيادته، والمواساة بالمال والمعونة، وقد أضاف الله – عز وجل- المرض إليه، والمراد " العبد تشريفًا وتقريبًا له، قالوا: ومعنى: وجدتني عنده؛ أي: وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه

(١) صحيح الأحاديث القدسية، دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر، ص٢١٣.

قوله تعالى في تمام الحديث " لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أنك سقيته لوجدت ذلك عندي" أي ثوابه، والله أعلم[١]".

إنَّ فن الحوار الدائر بين الله – عز وجل- والعبد يعكسُ مدى عظمِ رسالة الإسلام التي تؤسس لبناء مجتمع أخوي مسلم، قائم على المحبة والأخوة، وقد تجلى هذا الحوار في أبدعِ ما يكون الوصف؛ من حيث مكانة المحاوِر، وعِظم الفكرة التي لأجلها كان الحوار، وفي جواب العبد المحاوَر يتضحُ التعجُّبُ والاستغراب من أمرٍ إلهي، وهو ما بدا في الحديث القدسي السابق، متمثِّلًا في طلب الله تعالى من العبد عيادتَه، وفي مقابل ذلك استغرب العبد من أمر الله تعالى، وقد بيَّن الله – عز وجل- كيف يعوده العبد، فعيادة الله تكون من خلال عيادة العبد للعبد. وقد احتشدت في النص القدسي أساليبُ تعالقتْ معًا في تشكيل البنية الإيقاعية في النص، ونوضح ذلك فيما يأتي:

أوَّلًا: جاء أسلوب التوكيد في بدء الحديث وفاتحته دالًّا على حتمية حصول الخبر الواقع من رسول الله ﷺ في اعتبارات المستقبل الآتي.

ثانيًا: نداء الله – تعالى- للعبد قائلًا: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، وإجابة العبد ربَّه: يا رب كيف أعودُك؟ فالأسلوبان نداءٌ كل منهما، لكنَّ النداء الأول علقَ معه نفيٌّ، والنداء الثاني علق معه استفهام، والواضحُ في ذلك نداء الله للعبد أوَّلًا جاء في مقام بيانه تعالى لأمر إلهي يدعو الحديث لتحقيقه بين الناس، أما النداء الثاني، فقد جاء في مقام بيان استغراب العبد من أمر الله – تعالى-، لكنَّ هذا الاستغراب نجده بعد ذلك يقلُّ؛ لأنَّ الصورة الأمرية التي يدعو لها الحديث القدسي تنكشف وتصير أوضح شيئًا فشيئًا.

---

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ج٨، ص٣٤٠-٣٤١.

ثالثًا: من المهم أنْ نصلَ إلى دلالة ضمنية مختزنة في أساليب الاستفهام التي يوجهها الله – عز وجل- للعبد؛ إذ يسأله: أما علمتَ ...؟ وفي المقابل نجدُ العبدَ لا يقرُّ بذلك جوابًا مباشرًا، فلا يقول: بلى ... علمتُ يا ربِّ، إذ يختار السكوتَ ويفضله أمامَ الله – تبارك وتعالى- ويكون سكوته هذا إقرارًا منه للذنب الذي يسأله الله عنه.

إنَّ هذا التنوع في الأساليب والأغراض التي تحملها تلك الأساليب يجعلُ من قيمةِ إيقاع الصوتِ في الحديث القدسي ذاتَ قيمةٍ بارزة تُشكل المعنى والإيحاء بالتآزرِ معَ الأساليب، ففي الحديث مثلًا تكررت الصيغة الطلبية ممثلة في الكلمات: استطعمتك، استسقيتك، وهو تكرارٌ دالٌّ على استدامةِ فعل الطلبِ من الله –عز وجل- دون اقتصاره على مرحلة زمنية دون أخرى، فالله – عز وجل- يفتح للعبدِ مسالكَ خيرٍ يسلكها، وما ينبغي له إلا اتباعُها، وهذا العبدُ ليسَ إلا مِفتاحَ خيرٍ لغيرِه، وأثر ذلك باقٍ في صحيفته، وخالدٌ عند الله – عز وجل-.

ثالثًا: التنوع في الصِّيَغ الصرفية

ساهم التنوع في توظيف الصيغ الصرفية في إثراء الإيقاع النغمي للمفردات، وإكساب المعنى دلالات موحية، وهذا ما سنقف عنده في بيان الصيغ الصرفية وأنواعها:

١- صيغة اسم الفاعل:

يدلُّ اسم الفاعل على الحدث (الزمن) والذات الفاعلة، ويكون معناه التجديد والحدوث[١]، ويصاغ من الثلاثي ومن فوق الثلاثي.

---

(٣) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص٢٥٩.

ومن النماذج التي ورد فيها اسم الفاعل ما قاله ﷺ: "أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَلَه، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ، وإنْ دَقَّ إلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إلَّا وَهو يُخَادِعُكَ عن أَهْلِكَ وَمَالِكَ"(١)

فقد وردت في الحديث الكلمات (مقسط، ومتصدق، ومتعفف، والخائن)، وجميعها اسم فاعل، صورت دور الإنسان في اختيار نهايته، وتعددها أوحى بثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الشخص من خلال اختياره للحدث وتركيزه عليه، واتصافه به، وتمتعه بهذه الصفات تبين النهاية المحتومة له والتي كانت باختياره وإصراره على الفعل حتى عُلِّق به، واتصف به، كما أن تعدد صيغ اسم الفاعل في سياق الحديث نفسه أبرز جمالًا إيقاعيًّا، فتتالي هذه الصيغ وتتابعها من خلال تكرار الميم أضفى نغمًا معبرًا عن معان أوسع تعبر عن تماسك البناء الشكلي والدلالي في الحديث، كما أدت إلى بث الطاقة داخل النص.

٢- صيغ المبالغة

وردت صيغ المبالغة بشكل لا بأس فيه في الأحاديث القدسية، وجاءت لتقيد المبالغة بالشيء، وتؤدي غاية المعنى التي وضعت من أجلِه.

ومن أشهر صيغ المبالغة التي تداولها اللغويون (فعول، فعيل، مفعال، فعَّال، فَعِل) ومنها ما ورد في قوله ﷺ: " ... وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعا، لا يبتغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا

(٤) صحيح الأحاديث القدسية، ص ٢٧.

خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب، والشنطير الفحاش [١]"

فقد استخدم صيغة المبالغة (الفحَّاش) على وزن فعَّال، لتؤديَ معني مناسبًا يستحق الانتباه، فشحذ الذهن؛ ليخبر عن فعل شنيع تنبذه الطباع السليمة والنفوس الكريمة ويؤدي اللفظ قيمة في تشويه صورة هذا الفعل عن طريق صيغة المبالغة.

٣- أسماء التفصيل

ورد توظيف أسماء التفضيل في أكثر من موضع، في مثل قوله ﷺ: " لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فعاد بها عليا فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، قالوا يا رب، هل من خلقك شيء من الجبال؟ قال: نعم، الحديد قالوا يا رب، فهل شيء أشد من الحديد؟ [٢]...."

ورد اسم التفضيل أشد خمس مرات في هذا الحديث هذا، والمفضل هو (شيء)، والمفضل عليه (الجبال و ...)، وقد جاء اسم التفضيل على وزن أفعل، ونلاحظ ملاءمة استخدام اسم التفضيل (أشد) للتفصيل في القوة، فاللفظة تناسب شدّة الجبال والحديد والنار.

رابعًا: دلالة اللفظ ودورها في تشكيل الإيقاع النغمي

قد يكون للمفردة عدد من المعاني المختلفة، وقد تدل على الكثير من المدلولات، فعلى سبيل المثال، أحد معاني " التهم" له ملامح المعنى "أكل" نفسها، ولكن له أيضًا

---

(٥) صحيح الأحاديث القدسية، ص ٢٧.

(٦) المرجع السابق، ص ١٦٨.

ملامح إضافية مثل "السرعة"، وتناول قطع أكبر جزئيًّا[١]، فاللفظة قد تحيل إلى معنى، وقد يحيل المعنى إلى معنى آخر، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه توالد المعاني والدلالات، وخير من أشار لذلك الإمام الجرجاني في معرض حديثه عن النظم، ضمن ما أسماه المعنى ومعنى المعنى.

وقد جاء النص في الحديث القدسي منسجمًا يبعث الراحة في النفس، فاللفظ دقيق في إيصال المعنى الحقيقي، ينقل الفكرة للسامع والقارئ بكل وضوح، ويتلاءم مع المعني، فالألفاظ معبرة عن المعاني المرادة بكل وضوح وبأحسن تعبير، وما تتميز به هذه الأحاديث هو مناسبة الألفاظ والمعاني للحضارات الإنسانية؛ فبالرغم من طول الفترة الزمنية بيننا وبين زمن الرسول ﷺ، إلا أننا نشعر بأن الأحاديث قيلت بلغتنا، ليست بعيدة عما نفكر به وما نستخدمه من ألفاظ، فاللفظة قريبة من العامي والفصيح، تثير انفعال المتلقي وتكسبه فائدة، يفهما القاصي والداني، والكل يستقي منها على مقدار إدراكه وحواسه.

كما كثر في الأحادية القدسية المقابلة بين الخير والشر، وبين الثواب و العذاب، وبين الجنة والنار، ومنه قوله ﷺ: " **إن الله خلق العبد للجنة، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من عمل أهل النار، فيدخله به النار**[٢]".

(٧) ديوان عنترة دراسة دلالية، صبري إبراهيم السيد، ص ١٥.

(٨) صحيح الأحاديث القدسية، ص ١٠٣.

فالأنساق المتقابلة في هذا الحديث تؤثر في نفسية المتلقي، وتلعب دورًا كبيرًا في تحولات العاطفة من الفرح والتفاؤل إلى الخوف والتشاؤم، فذكر حال أهل الجنة وذكر توابعه، يقابلها ألفاظ ذكر أهل النار وتوابعها.

والسياق على حد قول الجرجاني: "**هو الذي يمنح اللفظة المفردة القبول والتمكن أو القلق والنبو، يقول: وهل تجد أحدًا يقول هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها. وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه فلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا السكن عن حسن الاتفاق بين هذه ولك من جهة معناهما وبالفقلق والنبو عن سوء التلاؤم**[١]".

والكلمة تنسجم مع غيرها لتطرق باب العاطفة وتفتحه على مصراعيه، فتغير ما أرادت تغييره بكل تفوق واقتدار، ومن ذلك قوله ﷺ في قول الله تبارك وتعالى، في الحديث القدسي: "**أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، من يصلها وصلته، ومن يقطعها أقطعه فأبته**[٢]".

من الملاحظ انسجام الكلمات في الحديث، مما يوحي بالمعنى ويوضحه، لقد اختار الله - عز وجل- من أسمائه الرحمن نتناسب الرحم، وكلّها من أسباب الرحمة ودلالاتها؛ فحتى يرحمنا الله -عز وجل- أمرنا بصلة الرحم، وزيارة الرحم سبب في زيادة الرحمة في قلب الإنسان، ويستمر الحديث بهذا التجانس (اسما من اسمي، يصلها وصلته، يقطعها أقطعه) وتجانس كل كلمتين يفضي لمعان أخرى غير المعنى المعجمي للمفردات؛ فاسما من اسمي، تدل على القرب مما يزيد في استقرار الفرد

---

(٩) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص ٤٧.

(١٠) موسوعة الأحاديث القدسية، الشعراوي، ج١، ص٩٠.

وثباته،(وصلها وصلته)؛ أيضًا دلالة على المودة والنصرة، ثم صيغ التهديد (نقطعها قطعه)، بما تثيره من إثارة لعاطفة الخوف من القطع الذي يؤدي أبشع صور العقاب.

ونجد اللفظ الموحي والنسق التعبيري المناسب متمثِّلًا في قوله ﷺ:" **يقول الله -عز وجل- يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف – أراه قال: تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**، فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: **من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد**[١]...".

فالأرقام تحسسنا بكثرة بعث النار، والتي بدورها تثير الخوف والهلع في نفس المتلقي، وتدل على صعوبة الخروج من هذا المأزق الشديد، وتستم العبارات الموحية، فيتكرر الرقم ذاته؛ الذي يعود فيثير عاطفة التفاؤل في نفس المسلم.

فللكلمة والعبارة دلالة موحية تؤثر في نفس المتلقي وتثيره، ثم لننظر إلى كلمتي يأجوج ومأجوج، واللتان تعبران بلفظهما واجتماع حروفهما عن العشوائية والغوغائية، فهما لفظان غير مألوفين؛ لا بل يثيران الدهشة والاستغراب، ويشعران المتلقي بكثرة القوم وصفاتهم الشريرة، فيكاد المتلقي ينطق ويقول: نعم، يستحقون ذلك، والحمد لله أني لست منهم.

فاختيار اللفظ المناسب أدى إلى توصيل المعنى بدرجة ملائمة تناسب الموقف، ومن هنا يأتي التلاؤم بين اللفظ والمعني، الذي يطرق باب الذهن، ويؤدي إلى فهم صحيح.

---

(١) الأحاديث القدسية، ص ٣٢١.

ومن العناصر الأساسية في تشكيل اللغة؛ ظاهرتا الزمان والمكان فلها من الدلالات في السياق وما تثيره في نفس المتلقي من معان تنسجم مع ألفاظها، كما أن الدلالة على الزمن لا تكون خالصة للألفاظ المفردة، ذلك أنها تقوم على عناصر معجمية ونحوية وسياقات متداخلة.

إن أهم دلالات الزمن في نصوص الأحاديث القدسية هي دراسة دلالات المادة المعجمية وما يتكرر فيها من ألفاظ مثل؛ الليل والنهار، ويوم القيامة وساعة دخول الجنة أو النار، كذلك الألفاظ التي تدل على الزمن بحكم وضعها، مثل: يتعاقبون ولا يزال وما يزال وغيرها، وكذلك دلالات الأفعال العربية من والمضارع والأمر على الزمن وهي دلالات وظيفية يحكمها السياق الذي جاءت فيه هذه الأفعال[١].

ويمكن تقسيم المادة المعجمية الدالة على الزمن نصوص الأحاديث القدسية إلى ثلاثة أقسام: الأول المادة الاسمية ويمثلها ظرف الزمان بدلالاته المتعددة، والثاني: وتمثله المادة الفعلية التي تدل على الاستغراق والمداومة مثل أصبح ولا يزال وغيرهما[٢]، ويلاحظ أن هذين القسمين يدلان على الزمن بحكم المطابقة والدلالة الضمنية، والقسم الثالث: الصيغ الفعلية "الماضي والمضارع والأمر " وهي تدل على الزمن بحكم وظيفتها.

تصور الأحاديث القدسية مشاهد القيامة والجنة والنار، وهذا مما سيحدث في المستقبل، تصورها بصيغة الماضي، أما دلالة تأثيرها فهي في الزمن المنتظر، مما يكون لها تأثيرها في الترغيب والترهيب، كما قال ﷺ: "**ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم، قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة، مزلة، عليه خطاطيف**

(١٢) الأحاديث القدسية، دراسة في البنى اللغوية والأسلوب، النعيم، ص ١٣٣.

(١٣) الزمن واللغة، مالك المطلبي، ص١٧١.

وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوك عقيفاء تكون بنجد، يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب [١].

ولو نظرنا إلى ألفاظ " الطرف، البرق، الريح، أجاويد الخيل " نرى أنها ألفاظ لها معان تدل على أشياء معينة غير التي استعملت من أجلها فالطرف هو اللمحة البسيطة، والبرق هو ظاهرة معروفة لا تخفى على أحد، وباقي الكلمات أيضًا كلٌّ لها دلالة خاصة استخدمت في هذا المجال لتؤدي معنى يدل على الزمن الذي يقطعه الماشي على الجسر المقصود، وهذا ما يزيد من جمال التعبير، ونقل المشهد الحقيقي بصورته المرئية للمتلقي.

وللزمان والمكان خصوصية في الحديث القدسي، فالمعجزة لها دور كبير في اختراق حاجز الزمان والمكان وتصويرهما وتقريبهما للذهن على الرغم من المشاهد غير المألوفة، ومن ذلك قوله ﷺ: " يُدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجوه، فيخرجون منها حُممًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحية إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية [٢]".

الألفاظ الدالة على المكان (الجنة، النار، نهر الحياة، جانب السيل) وهي ألفاظ ومدلولات توحي بمعان يسهل تصورها مع أنها غير مألوفة، إذا ما تجاوزنا(جانب السيل) وقد كثر ذكر (الجنة والنار) لما لها من دلالات ومعان في حياة الناس، فالحياة كلها قائمة عليهما .

---

(١) صحيح مسلم، ج١، ص١٦٣.

(١٥) الأحاديث القدسية، ص٣٩٢.

لقد بينت الأحاديث القدسية صورة الثواب والعذاب من خلال عرض مشاهد الآخرة من الجنة والنار، وما فيهما من مثيرات للعاطفة تحبب حينا من الخير وفعله، وتنفر من الشر حينا آخر، لما لها من دلالات إنسانية عميقة في النفس الإنسانية، من خلال ذكر الشر عن طريق الزمان والمكان، فقد تصور زمان العذاب وطوله، وترسم أماكنه المرعبة، وتصوير زمان الثواب ومكانه، كتصوير سوق الجنة.

رفع الحرج في الحج

أ.د. اسماعيل مخلف خضير الزيدي
أستاذ التفسير والدراسات العليا في الجامعة العراقية

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، بِمِنًى، لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ. فَقَالَ "اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ" ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. فَقَالَ "ارْمِ وَلَا حَرَجَ". قَالَ: فَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ، إِلَّا قَالَ "افْعَلْ وَلَا حَرَجَ"(١)

قال النووي – رحمه الله-: "أَفْعَالَ يَوْمِ النَّحْرِ أَرْبَعَةٌ: رَمْيُ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ ثُمَّ الذَّبْحُ ثُمَّ الْحَلْقُ ثُمَّ طَوَافُ الْإِفَاضَةِ وَأَنَّ السُّنَّةَ تَرْتِيبُهَا هَكَذَا فَلَوْ خَالَفَ وَقَدَّمَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ جَازَ وَلَا فِدْيَةَ عَلَيْهِ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَبِهَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَلِلشَّافِعِيِّ قَوْلٌ ضَعِيفٌ أَنَّهُ إِذَا قَدَّمَ الْحَلْقَ عَلَى الرَّمْيِ وَالطَّوَافِ لَزِمَهُ الدَّمُ بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِ الضَّعِيفِ أَنَّ الْحَلْقَ لَيْسَ بِنُسُكٍ وَبِهَذَا الْقَوْلِ هُنَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالنَّخَعِيِّ وَقَتَادَةَ ورواية شاذة عن بن عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَنْ قَدَّمَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ لَزِمَهُ دَمٌ وَهُمْ مَحْجُوجُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَإِنْ تَأَوَّلُوهَا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ نَفْيُ الْإِثْمِ وَادَّعُوا أَنَّ تَأْخِيرَ بَيَانِ الدَّمِ يَجُوزُ قُلْنَا ظَاهِرُ قَوْلِهِ ﷺ لَا حَرَجَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْكَ مُطْلَقًا وَقَدْ صَرَّحَ فِي بَعْضِهَا بِتَقْدِيمِ الْحَلْقِ عَلَى الرَّمْيِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَوْ نَحَرَ قَبْلَ الرَّمْيِ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَامِدِ وَالسَّاهِي فِي ذَلِكَ فِي وُجُوبِ الْفِدْيَةِ وَعَدَمِهَا وَإِنَّمَا يَخْتَلِفَانِ فِي الْإِثْمِ عِنْدَ مَنْ يَمْنَعُ التَّقْدِيمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ ﷺ اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ ارْمِ وَلَا حَرَجَ مَعْنَاهُ افْعَلْ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ وَقَدْ أَجْزَأَكَ مَا فَعَلْتَهُ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ قَوْلُهُ (وَقَفَ **رسول الله ﷺ على رَاحِلَتِهِ فَطَفِقَ نَاسٌ**

(١) صحيح البخاري، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة: ٦١٨/٢ برقم ١٦٤٩، صحيح مسلم باب من حلق قبل النحر: ٩٤٨/٢ برقم ١٣٠٦

يَسْأَلُونَهُ) هَذَا دَلِيلٌ لِجَوَازِ الْقُعُودِ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِلْحَاجَةِ قَوْلُهُ: (فَمَا سُئِلَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ) يَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ [١].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله-: "وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ تَقْدِيمِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَأَجْمَعُوا عَلَى الْإِجْزَاءِ فِي ذَلِك كَمَا قَالَه بن قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الدَّمِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رُوِيَ عَن بن عَبَّاسٍ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّ مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا عَلَى شَيْءٍ فَعَلَيْهِ دَمٌ وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَالنَّخَعِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ انْتَهَى وَفِي نِسْبَةِ ذَلِكَ إِلَى النَّخَعِيِّ وَأَصْحَابِ الرَّأْيِ نَظَرٌ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ إِلَّا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ كَمَا سَيَأْتِي قَالَ وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَجُمْهُورُ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءُ وَفُقَهَاءُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ إِلَى الْجَوَازِ وَعَدَمِ وُجُوبِ الدَّمِ لِقَوْلِهِ لِلسَّائِلِ لَا حَرَجَ فَهُوَ ظَاهِرٌ فِي رَفْعِ الْإِثْمِ وَالْفِدْيَةِ مَعًا لِأَنَّ اسْمَ الضِّيقِ يَشْمَلُهُمَا قَالَ الطَّحَاوِيُّ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى التَّوْسِعَةِ فِي تَقْدِيمِ بَعْضِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى بَعْضٍ قَالَ إِلَّا أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ لَا حَرَجَ أَيْ لَا إِثْمَ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ وَهُوَ كَذَلِكَ لِمَنْ كَانَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا وَأَمَّا مَنْ تَعَمَّدَ الْمُخَالَفَةَ فَتَجِبُ عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ وُجُوبَ الْفِدْيَةِ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ وَلَوْ كَانَ وَاجِبًا لَبَيَّنَهُ ﷺ حِينَئِذٍ لِأَنَّهُ وَقْتُ الْحَاجَةِ وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ وَقَالَ الطَّبَرِيُّ لَمْ يُسْقِطِ النَّبِيُّ ﷺ الْحَرَجَ إِلَّا وَقَدْ أَجْزَأَ الْفِعْلَ إِذْ لَوْ لَمْ يُجْزِئْ لَأَمَرَهُ بِالْإِعَادَةِ لِأَنَّ الْجَهْلَ وَالنِّسْيَانَ لَا يَضَعَانِ عَنِ الْمَرْءِ الْحُكْمَ الَّذِي يَلْزَمُهُ فِي الْحَجِّ كَمَا لَوْ تَرَكَ الرَّمْيَ وَنَحْوَهُ فَإِنَّهُ لَا يَأْثَمُ بِتَرْكِهِ جَاهِلًا أَوْ نَاسِيًا لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ وَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَحْمِلُ قَوْلَهُ وَلَا حَرَجَ عَلَى نَفْيِ الْإِثْمِ فَقَطْ ثُمَّ يَخُصُّ ذَلِكَ بِبَعْضِ الْأُمُورِ دُونَ بَعْضٍ فَإِنْ كَانَ التَّرْتِيبُ وَاجِبًا يَجِبُ بِتَرْكِهِ دَمٌ فَلْيَكُنْ فِي الْجَمِيعِ وَإِلَّا فَمَا وَجْهُ تَخْصِيصِ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ مَعَ تَعْمِيمِ الشَّارِعِ الْجَمِيعَ بِنَفْيِ الْحَرَجِ[٢].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ٥٥/٩

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٥٧١/٣

وقال **الحافظ ابن حجر**: وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ جَوَازُ الْقُعُودِ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِلْحَاجَةِ وَوُجُوبُ اتِّبَاعِ أَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ لِكَوْنِ الَّذِينَ خَالَفُوهَا لَمَّا عَلِمُوا سَأَلُوهُ عَنْ حُكْمِ ذَلِكَ وَاسْتَدَلَّ بِهِ الْبُخَارِيُّ عَلَى أَنَّ مَنْ حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ فَفَعَلَهُ نَاسِيًا أَنْ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ(١).

(١) فتح الباري: ٥٧٣/٣

أبو العباس العزفي السبتي وإسهامه في إغناء الدرس الحديثي

د. سعيد بدهان

أستاذ في التعليم العتيق بالناظور – المغرب

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١] والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، بعدد ما سبح الملائكة الحافون حول عرشك الكريم، وبعدد ما سبح من شيء يسبح بحمدك ولا نفقه تسبيحهم، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستغفره استغفار من يَقِرُّ بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المصطفى لوحيه، المنتخب لرسالته؛ فصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم، إنه حميد مجيد.

أما بعد؛ "**فإن علم الحديث رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذكر، لا يعتني به إلا كل حَبْر، ولا يحرمه إلا كل غَمْر، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر**"[(١)]، ولشرف هذا العلم وعلو منزلته في الشريعة الإسلامية قام رجال أفذاذ على رياض السنة ينفون عنها تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، فكان منهم علماء الغرب الإسلامي الذين أسهموا في شتى مجالات العلوم منها علم الحديث، وسنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على عَلَمٍ من علماء جهة شمال المغرب، وبالتحديد مدينة سبتة المحتلة أعادها الله تعالى إلى حمى المسلمين، وهو أبو العباس العزفي الذي لم يحظ بكثير عناية، رغم شهرته وقوة آثاره.

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي، تح طارق عوض الله، ط: دار العاصمة- السعودية- ط /١/١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م(٣٣/١).

إشكالية البحث:

إن الإشكال المطروح الذي تحاول هذه المشاركة أن تجيب عنه يتمثل فيما يلي:

ما هي جهود أبي العباس العزفي السبتي في إغناء الدرس الحديثي ؟

وما هي آثار علم الحديث في مؤلفاته؟

ولمحاولة الإجابة عن هذا الإشكال سيتولى البحث دراسة جهود أبي العباس العزفي في الحديث من خلال البحث في سيرة الشيخ أبي العباس العزفي، وبعض مؤلفاته وجهوده في إغناء الدرس الحديثي بسبتة.

أهداف البحث

- يهدف هذا البحث إلى إبراز جهود عالم من علماء سبتة في علم الحديث.
- إلقاء الضوء على الحركة العلمية الحديثية في سبتة خلال القرن السادس والسابع الهجريين.

الدراسات السابقة

لم أجد -في حدود علمي بعد البحث والتنقيب- بحثا أو دراسة تعرضت للحديث عن الشيخ أبي العباس العزفي السبتي وجهوده في الدرس الحديثي، ولهذا ارتأيت بعد الاستخارة أن أُعَرِّفَ بسيرة أبي العباس ثم أَلْمَعُ إلى دوره في إغناء الدرس الحديثي بسبتة.

تمهيد: نظرة موجزة عن مدينة سبتة

إن الحديث عن شخصية أبي العباس العزفي السبتي يفرض علينا إلقاء نظرة موجزة عن القطر الذي عاش وترعرع فيه ألا وهي مدينة سبتة-أعادها الله للمسلمين-، وسنوجز الحديث عن هذه المدينة الإسلامية التاريخية في عنصرين اثنين:

الأول: حدودها ومكانتها التاريخية:

يصف لنا البكري في كتابه المسالك جغرافية هذه المدينة، وسكانها فيقول: "وهي على ضفّة البحر الرومي، وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيّق جدّا، والبحر محيط بها شرقاً وشمالاً وقبلة، ولو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة. وقد حفر من تقدّم في ذلك الموضع نحو غلوتين. وهي مدينة كبيرة مسوّرة

بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله...وأهلها عرب وبربر، فعربها تنسب إلى صدف وبربرها من ناحية أصيلة والبصرة، ولم تزل دار علم، وبشرقيّ مدينتها جبل منيف كان محمّد بن أبي عامر ابتدأ فيه بناء سور لم يتمّ"[١] وهذه المدينة كانت من أعظم قواعد بلاد المغرب وقد شبهها الحموي في معجم البلدان بمدينة المهدية الحصينة في تونس وبين سبتة ومدينة فاس عشرة أيام[٢] ولا يخفى ما كان لهذه المدينة من مكانة بالغة الأهمية كحاضرة علمية.

الثاني: الحركة العلمية في سبتة:

مدينة سبتة من المدن المغربية المتميزة، فقد أخرجت لنا علماء كثرا من مختلف الطبقات يقول عنها البكري "ولم تزل دار علم"[٣] ويقول عنها لسان الدين ابن الخطيب: "بصرة علوم اللسان، وصنعاء الحلل الحسان"[٤]. وكانت سبتة موئلا لكثير من العلماء ومزارا لطلاب العلم، " فقد كانت المدينة منذ القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي مركزا مرموقا للدراسات العربية والفقهية والطبية، بفضل العناصر الأندلسية الوافدة إليها، وهي العناصر التي تزايد عددها منذ أوائل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وخاصة بعد سقوط اشبيلية عام ٦٤٦هـ ١٢٤٨م وتزخر كتب التراجم والطبقات بأسماء قضاة ومحدثين وقراء ومفسرين ونحويين وأطباء من أبناء سبتة من أصول أندلسية، من أشهرهم القاضي عياض(ت٥٤٤هـ ١١٤٩م) والشريف الإدريسي، وابن رشيد الفهري، وأبو العباس العزفي، وابنه أبو القاسم العزفي، وعبد المهيمن الحضرمي، وابن عبد المنعم الحميري، وأبو القاسم التجيبي."[٥] وغيرهم

---

(١) المسالك والممالك، عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ط دار الغرب الإسلامي، ط: ١٩٩٢ م(٢/٧٧٩-٧٨٠).

(٢) معجم البلدان ،ياقوت بن عبد الله الحموي ط دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥ م(٣/١٨٣).

(٣) المسالك والممالك (٢/-٧٨٠).

(٤) معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، محمد بن عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط: ١٤٢٣هـ(١٤٦).

(٥) دراسات في تاريخ سبتة الإسلامية، أمين توفيق الطيبي، ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لبيا-طرابلس (٥٥).

المبحث الأول: شذرات من حياة أبي العباس العزفي

أولا: اسمه: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الشهير بابن أبي عَزَفَة[١].

ثانياً: كنيته: أبو العباس.

ثالثاً: أصله: قيل إن نسبهم ينتهي إلى لخم يقول المقري"لا مدفع فيها عند الثقات، وبذلك وصفهم الأكابر، غير أنَّ ابن الخطيب في الإحاطة، نقل عن الكتاب المؤتمن، في أنباء أبناء الزمن ما نصه: وتزعم بعض أهل سبتة أنَّ أصلهم من مَجْكَسة[٢] من البربر، فيقولون: ما للخم ومَجْكَسة؟ وهذا موكول إلى قائلة، إذ لا نعلم حقيقة الأمر فيه."[٣] والرأي القائل بأن أصله من البربر له ما يقويه فأبو العباس العزفي كان على دراية بلغة البربر أو اللغة الريفية، فقد أورد بعض الكلام منها في كتابه دعامة اليقين في زعامة المتقين فمن الكلام الذي ذكره باللغة الامازيغية: يحكى أن أحدهم جاء إلى الشيخ أبي يعزى يشكو إليه قائلا: "يموت أُغيول إينو فقال وَرْيَموت...كان يؤتى بالمجانين فيقول أزَرْ يعني أنظر...ما نِيَلا بو تكشكوشين مانيلا بو تكشكوشين[٤]؟ يعني أهل الرقى والعزائم"[٥].

وقد أورد كثيرا من الكلام بالأمازيغية[٦] في هذا الكتاب، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأن أصله بربري بمجرد أنه كان يتحدث بها ويفهمها إلا أن درايته وتحدثه باللغة الأمازيغية تقوي الرأي القائل بأصله الأمازيغي والله أعلم.

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني، ت إبراهيم شبوح، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق- ط ١٣٨١هـ (٤٥) يقول الرعيني وهو تلميذ المترجم له "هكذا كتب لي اسمه بخطه رحمه الله تعالى " نفس المصدر نفس الصفحة وينظر أيضا: برنامج شيوخ ابن أبي الربيع السبتي، عبيد الله بن احمد، تح العربي الفرياطي، ط مركز الدراسات والأبحاث-الرابطة المحمدية المغرب-ط/١/١٤٣٢هـ-٢٠١١م(٦٢).

(٢) مجكسة قبيلة من قبائل غمارة وهي قبيلة أمازيغية ينظر: المسالك والممالك،للبكري(٢/٧٧٦).

(٣) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، احمد بن محمد أبو العباس المقري، تح مصطفى السقا وآخرون ط لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة-ط ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م(٢/٣٧٦).

(٤) أي الذي يخرج الزبد من فمه؟.

(٥) دعامة اليقين في زعامة المتقين، ابو العباس احمد بن محمد العزفي، تح احمد توفيق، ط مكتبة خدمة الكتاب المغربط١٩٨٩م(٣٩).

(٦) كالصفحات،٤٥و٤٧و٤٨و٥٦و٥٧و٥٨و٦٢.

رابعاً: مولده: ولد أبو العباس العزفي سنة ٥٥٧هـ[١].

خامساً: أسرة أبي العباس العزفي أسرة معروفة بالعلم والرياسة والدين[٢] ومنهم من حكم مدينة سبتة ونالوا إعجاب أهلها بهم، وقد كان مؤسس الأسرة الحاكمة -العزفيون- في سبتة هو ابن مترجمنا أبو القاسم العزفي، فورثوا الفضل والعلم أبا عن جد وحكم أبو القاسم سبتة وأصيلة نحو ثلاثين سنة، وتولى بعده ابنه أبو حاتم أحمد العزفي بعده، واستمر الحكم فيه ما يقارب القرن من الزمان من سنة ٦٤٦ إلى سنة ٧٢٨[٣].

سادساً: وفاته: توفي أبو العباس العزفي وهو في السبعينات من عمره سنة٦٣٣ هـ[٤].

المبحث الثاني: حياة أبي العباس العلمية

أولا: طلب أبي العباس العزفي للعلم:

أسلفنا سابقا أن أسرة العزفي حظيت بمكانة مرموقة علميا في شتى المجالات في الأدب، واللغة والحديث والفقه، وغيرها من العلوم.

وممن تألق في العلم وبلغ فيه منزلا متميزا أبو العباس العزفي، وأثناء البحث في كتب التراجم والطبقات التي وردت فيها مادة ترجمة أبي العباس، لم نجد ما يسعفنا من أخبار ومعلومات عن تفاصيل نشأة أبي العباس العلمية، اللهم إلا نتفا يسيرة لا تثري موضوع ترجمته، إلا أن الفترة التي عاش فيها وهي فترة حكم الموحدين تُفْصِح لنا عن مناهج التعليم وأساليبه، والطريقة المتبعة لدى الموحدين، فقد كان التعليم إجباريا يقوم على التدريج بالمتعلمين في مدارج التعليم، وعلى فكرة الاقتصار على

---

(١) ينظر: إكمال الإكمال محمد بن عبد الغني، ابن نقطة تح. عبد القيوم عبد رب النبي، ط: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ط: ١، ١٤١٠هـ (٢٩٦/٤)، والأعلام، خير الدين، الزركلي ط دار العلم للملايين ط/١٥ - ٢٠٠٢ م(٢١٨/١).

(٢) ينظر: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري جعفر الناصري/ محمد الناصري، ط: دار الكتاب – الدار البيضاء (٣٤/٣).

(٣) تاريخ سبتة، محمد بن تاويت، ط دار الثقافة-الدار البيضاء- المغرب-ط ١٤٠٢/١هـ-١٩٨٢م (١١٩).

(٤) ينظر: برنامج شيوخ الرعيني (٤٦)والأعلام ،خير الدين، الزركلي (٢١٨/١).

تعليم الولدان القرآن، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه [١].

ثانياً: شيوخ أبي العباس العزفي في العلم:

شيوخه من المغاربة

-من المرجح أن يكون أول من تلقى العلم علي يديه هو أبوه **القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد العزفي** يقول عنه التجيبي في برنامجه: "القاضي العدل الأديب الحسيب" [٢]ويذكر الرعيني لنا في برنامجه أن أبا العباس تلقى على أبيه علوما كثيرة، " ومن شيوخه سوى من ذكر: أبوه القاضي أبو عبد الله قرأ عليه كثيرا"[٣] ومن العلوم التي أخذها عنه، علم الحديث رواية ودراية، فقد وصف بعض المترجمين أبو عبد الله محمد بن أحمد العزفي بالمحدث[٤].

-**عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله الحَجْري** [٥] (٥٩١هـ) الزاهد الراوية الخطيب، وهو تلميذ أبي بكر ابن العربي، وقد أخذ أبو العباس العزفي عن هذا الشيخ علم القراءات قرأ عليه السبع في عشرين ختمة، وقرأ عليه كتاب الشواذ من القراءات لأبي عمرو الداني، أما في علم التفسير فقد قرأ عليه تفسير القرآن لمالك[٦]، أما في علم الحديث فسنذكر كتب الحديث التي رواها عنه في مبحث خاص سيأتي معنا بإذن الله تعالى.

-**الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حُبَيش** [٧] (ت ٥٨٤) كان "إماما في علم الحديث، واقفا على رجاله، لم يكن بالأندلس

---

(١) ينظر: حضارة الموحدين، محمد المنوني، ط دار توبقال للنشر الدار البيضاء المغرب-ط/١/١٩٨٩م (١٩).
(٢) برنامج التجيبي، محمد بن علي التجيبي، تح عبد الحفيظ منصور، ط: الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط: ١٩٨١م (١٢٨).
(٣) برنامج شيوخ الرعيني (٤٥).
(٤) أزهار الرياض، للمقري (٣٧٥/٢).
(٥) برنامج التجيبي (٧٦).
(٦) برنامج شيوخ الرعيني (٤٣).
(٧) ينظر: السابق نفسه (٤٥).

من يجاريه فيه، أقر له بذلك أهل عصره، مع تقدمه في اللغة والأدب، واستقلاله بغير ذلك من جميع الفنون"[١].

-أبو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) صاحب الروض الأنف في السيرة قرأ عليه بعض مؤلفاته ككتاب الأعلام فيما أبهم من القرآن من الأسماء والأعلام[٢] قال عنه ابن الأبار "كان عالما بالقراءات، واللغات والعربية وضروب الآداب، حافظا للسير والأخبار والأنساب، إماما في الحفظ والذكر والإدراك مقدما في الفهم والفطنة والذكاء، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف في فنون العلم يغلب عليه علم العربية والغريب وتصدر للإقراء والتدريس وإسماع الحديث"[٣].

-الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (ت٥٧٨) صاحب كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس[٤] يروي عنه أبو العباس العزفي بالإجازة[٥] قال عنه الذهبي: "الإمام، العالم، الحافظ، الناقد، المجود، محدث الأندلس"[٦] وغير هؤلاء كثير.

شيوخه من المشارقة

فهؤلاء شيوخه في المغرب، وله أيضا شيوخ في المشرق روى عنهم كتب الحديث، والسيرة وغيرها من العلوم، والذي يظهر من خلال بعض كتب التراجم أن للشيخ أبي العباس رحلة إلى المشرق، وقد نص على ذلك تلميذه الرعيني في برنامجه حيث يقول: **"ومن أهل المشرق: أبو طاهر بن عوف، وأبو عبد الله الكَرْكَنْتِي، وأبو عبد الله الحضرمي، وأبو الفضل الغزْنوي، وأبو القاسم مخلوف بن علي بن جارة، وأبو الحسن علي بن يوسف بن خروف القيسي هو الشاعر القرطبي أجازه من مصر في**

---

(١) سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تح شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط/٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م (١٢٠/٢١).

(٢) برنامج شيوخ الرعيني (٤٥).

(٣-التكملة لكتاب الصلة،ابن الأبار، محمد بن عبد الله البلنسي، تح عبد السلام الهراس، ط دار الفكر للطباعة – لبنان، ط ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م (٣٢/٣).

(٤) ينظر ترجمته في الديباج المذهب (٣١٠/١).

(٥) وبرنامج الرعيني(٤٦).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢١/ ١٣٩).

رحلته إلى المشرق، وأبو طاهر الخُشوعِي، وغير هؤلاء جماعة كبيرة رحم الله جميعهم"[١].

ثالثاً: تلامذته:

تتلمذ على يد الشيخ أبي العباس العزفي مجموعة من طلاب العلم المغاربة والأندلسيين والسبتيين، وكانت إليه الرحلة فتصدر للتدريس بجامع سبتة، ويقصده القاصي والداني لرواية الحديث، والنَّهْلِ من علمه وهديه ودله، ومن أشهر تلامذته من المحدثين الذين عُرِف عنهم رواية الحديث:

١. **محمد بن عمر بن محمد بن عمر المعروف بابن رشيد[٢] السبتي** (ت٧٢١هـ)

قال عنه لسان الدين ابن الخطيب في الإحاطة "الخطيب المحدّث، المتبحّر في علوم الرّواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريد دهره عدالة وجلالة، وحفظا وأدبا، وسمتا وهديا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح النّقل، أصيل الضّبط، تام العناية بصناعة الحديث"[٣] وله مؤلفات تدل على طول باعه وتبحره في علم الحديث ككتابه الفريد "السَّنَن الأَبْين والمورد الأَمْعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن" وهو مطبوع، وكذلك كتاب "ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة"، وقد دون فيه فوائد رحلته وغيرها من الكتب وهو مطبوع أيضا وقد ذكر ابن رشيد في كتاب ملء العيبة: أن الشيخ أبا العباس أجازه إجازة عامة[٤].

---

(١) برنامج شيوخ الرعيني (٤٦).

(٢) ينظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،إبراهيم بن علي، ابن فرحون، تح محمد الأحمدي أبو النور، ط: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة-ط٣/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م(٢٣٤).

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله، ابن الخطيب ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٤ هـ(١٠٢/٣)

(٤) ينظر: ملء العيبة بما جُمع بطول الغَيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيبة، محمد بن عمر بن رشيد، تح محمد الحبيب الخوجة، ط الدار التونسية، تونس ١٤٠٢-١٩٨٢م(١٣٦/٢).

٢. **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبار**[١]، (ت٦٥٨) ترجم له ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ترجمة حافلة تدل على سعة حفظه وروايته[٢] وقد نص ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة على روايته، وتتلمذه على يد الشيخ أبي العباس العزفي[٣].

٣. **أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الاشبيلي**(ت٦٦٦هـ) **اشتهر بابن الفخار** (صاحب البرنامج) تنقل في بلاد الأندلس، ورحل في طلب العلم، وكانت له عناية برواية كتب الحديث واختص بعلم القراءات يقول عنه تلميذه ابن عبد الملك المراكشي "تلا القرآن العظيم بالسبع وبالإدغام الكبير عن أبي عمرو بن العلاء على أبي بكر القرطبي، وبقراءتي الحرميين وبعضه بقراءة أبي عمرو، على أبي بكر بن عبد النور، وأكثر عنهما وأجازا له، وبقراءة ورش على أبي بكر ابن الرماك ومؤدبه أبي علي الزبار، وقرأ عليهما غير ذلك"[٤] واستقر في آخر عمره بمراكش وبها توفي سنة ٦٦٦هـ.

٤. **أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله عُرف بابن أبي الربيع الإمام القرشي الأموي العثماني الأندلسي الإشبيلي**[٥](ت٦٨٨هـ) ذكر في برنامج شيوخه أنه أجازه الشيخ أبو العباس العزفي بجميع مروياته عن شيوخه قال: "كتب إلى بإجازة جميع ما رواه عن جميع شيوخه"[٦].

---

(١) ينظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،محمد بن مخلوف تح عبد المجيد خيالي، ط دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

(٢) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، تح محمد بن شريفة، وآخرون، ط دار الغرب الإسلامي، تونس، ط/١، ٢٠١٢ م (٢٧٦/٤).

(٣) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار(٢/٥١) .

(٤) الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي (٢٧٢/٣).

(٥) ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١٩١/٤).

(٦) برنامج شيوخ ابن أبي الربيع السبتي (٦٣).

٥. **أبو عبد الله محمد بن أبي يحيى أبي بكر بن خلف الأنصاري المراكشي المعروف بابن المواق**[١](ت٦٤٢) له عناية بالحديث شرح مقدمة صحيح مسلم، وقد وقف ابن عبد الملك المراكشي على هذه المقدمة فقال "إنها غاية من النبل والحسن والوضع، وشرح جملة من موطأ، وله تعقب على كتاب أبي الحسن ابن القطان الموسوم بـ بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام"[٢] سماه "بغية النقاد النقلة فيما أخل به كتاب البيان وأغفله أو ألم به فما تممه ولا كمله" والكتاب مطبوع ومتداول بين طلبة العلم.

٦. **أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسي بن عياض اليحصبي**، وهو حفيد أبي الفضل القاضي عياض[٣] قال ابن فرحون "وكتب له من أهل المشرق عالَم كثير منهم: الشيخ المحدث أبو العباس العزفي وغيره من المشايخ الجِلّة"[٤]

فهؤلاء الثلة من تراجم المشايخ سواء كانوا شيوخا أو تلامذة إن دلت على شيء، فإنما تدل على تأثر الشيخ أبي العباس العزفي بالحديث وعلومه رواية ودراية، وتأثيره أيضا بالجيل الذي جاء بعده من تلامذته، وقبل أن نختم الحديث عن شيوخ أبي العباس وتلامذته لابد أن نشير إلى نقطة مهمة؛ وهي أن علم الحديث عرف ازدهارا في فترة حكم الموحدين وهي الفترة التي عاش فيها أبو العباس فقد كان للعلماء في عهد الموحدين اهتمام وإقبال على علم الحديث خاصة أيام يعقوب المنصور فقد" نال عنده-يعقوب- طلبة الحديث مالم ينالوه في أيام أبيه وجده هذا إلى أنغير واحد من خلفائهم أمرائهم كانوا محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ أحد الصحيحين، ويعقوب كان يحفظ متون الأحاديث ويتقنها والمأمون كان معدودا من حفاظ الحديث فلم يزل أيام خلافته يسرد الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داوود.

---

(١) الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي (٥/١٥٠).

(٢) ينظر السابق نفسه (٥/١٥١).

(٣) ينظر الديباج، لابن فرحون (٢/٢٠٩).

(٤) السابق نفسه (٢/٢١٠).

وكذا الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن...ولقد كان من أثر هذه النهضة أن ظهر بالمغرب محدثون كبار"[١].

رابعاً: ثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه الرعيني: "**من خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، برز علما وعملا ودراية ورواية وجمع خصالا من الفضل جمة** "[٢].

ويقول عنه المقري: "**الشيخ الفقيه الإمام، العارف العالم، علم العلماء العاملين المتقنين، ونخبة الفضلاء الصالحين المتقنين، أبي العباس أحمد بن الشيخ الفقيه القاضي العالم المحدث**"[٣].

قال ابن حجر: "**الأمير العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي العزفي، كان زاهداً إماماً مفنناً مفتياً، ألف كتاب المولد وجوده**"[٤].

قال عنه الصفدي: "**الفقيه المحدث الرئيس أبو العباس بن الخطيب أبي عبد الله السبتي المعروف بالعزفي بالعين مفتوحة والزاي مفتوحة والفاء سمع الكثير وأجازله ابن بشكوال وكان ذا فضل وصلاح**"[٥]

قال عنه ابن الشاط: "**هو الفقيه العالم العامل العلم الأوحد الأورع الضابط الناقد المسند بقية المحدّثين**"[٦]

قال عنه أبو عبد الله ابن عبد الملك المراكشي: "**المحدث الفاضل أبو العباس العزفي**"[٧]

---

(١) حضارة الموحدين، محمد المنوني (٣٥-٣٦).

(٢) برنامج شيوخ الرعيني (٤٢).

(٣) أزهار الرياض للمقري (٣٧٥/٢).

(٤) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه،أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تح: محمد علي النجار، ط: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان(١٠٠٥/٣).

(٥) الوافي بالوفيات، خليل الصفدي، (٢٢٨/٧).

(٦) نيل الابتهاج بتطريز الديباج،أحمد بابا بن أحمد التنبكتي تح: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط: دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط/٢، ٢٠٠٠ م(٧٧).

(٧) الذيل والتكملة (٦٠٨/١).

قال عنه الكتاني: " **ابن العزفي هو المحدث الجليل أبو العباس أحمد**"[١]

خامساً: مؤلفاته

توزعت حياة أبي العباس رحمه الله تعالى بين ثلاث مهام القضاء[٢]والتدريس والتأليف؛ فقد كان له مجلس للتدريس في جامع سبتة، فلزم التدريس فيه مدة عمره كما ذكر تلميذه الرعيني[٣]،كما كان له مجلس درس في داره وفي دور بعض طلبته، ومن طريف ما يذكره لنا ابن عبد الملك المراكشي ينقل عن أبي القاسم ابن عمر انقال:" **كنت بسبتة عام سبعة وعشرين فرأيتني عند الفقيه شيخنا أبي العباس العزفي رحمه الله في دويرة غير داره المعلومة له وقد اجتمع حوله حلقة من طلبة العلم، فبينا نحن نتذاكر قال قائل: أتى السيل أتى السيل! ونال الحاضرين لذلك روع**"،[٤] وهذا النص يدل على حرص الشيخ على تعليم طلبته في أحلك الظروف، وإلى جانب مهمة التدريس كان له مهمة التأليف، وقد خلف مؤلفات علمية في فنون متنوعة منها:

١-منهاج الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ مطبوع طبعته الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب.

٢-برنامج عرف فيه بشيوخه، وذكر مروياته عنهم، وهذا الكتاب لا يوجد له أثر الآن فهو من كتبه المفقودة قال الرعيني:" **وأخذت عنه برنامج رواياته الذي احتفل فيه**"[٥]

١- كتاب جمع فيه بين معاني القرآن للفراء والزجاج ذكره الرعيني وهو أيضا من الكتب التي لم تصلنا[٦].

---

(١) فهرس الفهارس (٢/ ٨٥٥).

(٢) وصفه بالقاضي، المقري في أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٣٧٤/٢).

(٣) برنامج الرعيني (٤٢).

(٤) الذيل والتكملة (٤٦٠/١).

(٥) ينظر: برنامج الرعيني:(٤٣)، وفهرس الفهارس: محمد عَبْد الحَيّ الكتاني، تح إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي -ط: ٢، ١٩٨٢م(٨٢٦/٢).

(٦) ينظر السابق نفسه(٤٣).

٢- "إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد" وقد طبع هذا الكتاب حقق في تطوان من طرف الدكتور محمد الشريف، وطبع في الإمارات، وهذا الكتاب ينتمي إلى كتب فقه المعاملات وقد دفعه إلى تأليف الكتاب المساهمة في تحقيق وتبسيط أدوات الوزن والكيل وتحديد قيمة النقد ومقادير الأوزان والمكاييل لحاجة الناس إلى ذلك والتي لها ارتباط أيضا بتقدير النصب الشرعية كمقدار الزكاة والدية والصداق...

٣- "دعامة اليقين في زعامة المتقين" ذكر فيه أخبار وفضائل الشيخ أبي يعزى يلنور (ت٥٧٢)،[١] وتحدث في هذا الكتاب عن حقيقة الكرامة وجواز وقوعها، وموجباتها وأحكامها وأنواعها وأقسامها، ورأي أهل السنة في ذلك، والكتاب مطبوع ومتداول.

٤- "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" ولعل هذا الكتاب من أواخر مؤلفاته، وذلك لأنه مات ولم يكمله، وأبو العباس السبتي من خلال هذا الكتاب يعتبر أول من أحدث ودعا إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يقول الناصري في الاستقصا "واعلم أنه قد كان سبق السلطان يوسف[٢] إلى هذه المنقبة المولدية بنو العزفي أصحاب سبتة فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم"[٣] والكتاب كما ذكرنا لم يكمله أبو العباس، فقام ابنه محمد أبو القاسم بعده وأكمله، ولذا تجد في بعض كتب التراجم أحيانا تنسبه إلى أبي العباس، وأحيانا أخرى تنسبه إلى ابنه[٤] يقول المقري عنه: "وهو الذي أكمل الدر المنظم في مولد النبي المعظم من تأليف أبيه أبي العباس رحمه الله"[٥]

---

(١) ينظر شجرة النور الزكية (٢٣٦/١).

(٢) هو السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني.

(٣) الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى (٩٠/٣).

(٤) كما فعل الذهبي في تاريخ الإسلام (٤١٣/١٥).

(٥) أزهار الرياض (٢/ ٣٧٥) وينظر أيضا، تاريخ سبتة، محمد بن تاويت(١١١).

٥- **أجزاء في الحديث** فقد ذكر الصفدي أنه: **"ألف في الحديث أجزاء مفيدة"**[١] لم أقف على هذه الأجزاء ولا أسمائها.

(١) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط دار إحياء التراث – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م (٢٢٨/٧).

معنى شرط الشيخين

بقلم الشيخ أبي محمد

ليس ثمة قاعدة مطردة، فالحاكم وهو أكثر المستعمِلين لهذه العبارة، كثيراً ما يقصد بها رجال الإسناد؛ فيقول هو على شرط البخاري ومسلم أو على شرطهما، ومعلوم أنَّ شرط البخاري مختلف عن مسلم . فقوله (على شرطهما) يدلُّ على القدر المشترك بينها وهذا لا يكون إلا في الرواة المخرَّج لهم عندهما. لكن ليس كلُّ من خرَّج له البخاري أو مسلم جاز أن يُقال لحديثهم إنَّه على شرطهما فيمكن أن يكون الراوي ليس بالحافظ المتقن إلا في شيخ معين عرف تثبته فيه فيخرجون له الحديث الذي حفظه من طريقه. فيأتي أحدهم رأى حديثاً لهذا الراوي قال هو على شرطهما ولم يخرجاه.

فمثلاً حماد بن سلمة ثقة تغير، واحتج به مسلم في روايته عن ثابت خاصة. واستشهد به في روايته عن غيره ولم يكثر عنه في ذلك . فإذا وجد إسناد فيه حماد فلا يقال هو على شرط مسلم بهذا الاطلاق ثم يستدرك عليه عدم إخراجه هذا الحديث في صحيحه. وأيضا الحسن البصري إمام كبير عرف بالتدليس ولكن اختلفوا في سماعه من بعض الصحابة كأبي بكرة وسمرة . لذلك لم يخرج له مسلم عنهما مباشرة مع أنه عاصرهما وثبت عند البخاري وغيره سماعه منهما. لكن البخاري اخرج له عن أبي بكرة قليلا ولم يخرج له عن سمرة مع أنه ذكر في الصحيح سماعه لحديث العقيقة منه ومن ذلك يعلم أن الامام مسلما لا يكتفي مطلقا بالمعاصرة كما قد يتوهم، لكن بقرائن أخرى إذا اجتمعت قبل الحديث وإذا تخلف منها شرط أو فقدت أحد الشروط توقف عن الحديث.

وكذلك يفعل الإمام كبير البخاري مع زيادة تثبته وتحريه في صيغ السماع وشروطها لا يكن الإحاطة بها لأن كل حديث يعاملونه معاملة خاصة وكل راو له ميزانه الذي يوزن به حديثه. وهذا باب واسع، والله أعلم .

علم الإسناد

أ.م.د. علاء كامل عبدالرزاق
جامعة الأنبار – كلية العلوم الإسلامية

إن من أهم خصائص حملة الحديث النبوي ورواته، أن ميزهم الله تعالى دون غيرهم بشرف الإسناد، فعلم الإسناد علمٌ لم تعرفه البشرية من قبل إلا على أيدي أصحاب الحديث الذين وضعوا له أسسًا وقواعد في دقة عالية بهرت العقول.

والإسناد أو السند: هو سلسة الرجال الموصلة للمتن (أي القول أو الخبر)، وسُمِّي سندًا، لاعتماد الحفاظ عليه في الحكم على المتن بالصحة أو الضعف. فهو من الأهمية القصوى بمكان؛ لأنه علم يضبط الرواية وتحملها وأدائها كما هي من غير تبديل ولا تغيير ولا تحريف بنقل عدل ضابط عن مثله، وقد جعله الله خصيصة لهذه الأمة، فجعلها أمة مسندة وليس لغيرها من الأمم على الإطلاق ولا يوجد الإسناد عند أمة على ظهر الأرض إلا أمة الإسلام. فنحن نرى الأمم كلها على مدى التاريخ فقيرة لا تملك مصدرًا من مصادر الحديث عن الأنبياء حيث انقطعت الصلة بينها وبين أنبيائها علميًا وتاريخيًا، وفقدت الحلقة التاريخية الموصلة إليهم.

أما أمة الإسلام فهي الأمة الوحيدة التي امتلكت قوة الذاكرة، وعظمة الصدق، وأمانة تحمل الرواية، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك، وإلى أن الإسناد باق في أمته بقوله: «تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ» رواه أبو داود وابن حبان والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني وليس على شرطهما، وكذا صححه الأرنؤوط.

قال صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ: "بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ خَصَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، لَمْ يُعْطِهَا مَنْ قَبْلَهَا الْإِسْنَادِ وَالْأَنْسَابِ وَالْإِعْرَابِ" شرف أصحاب الحديث (ص: ٤٠) رقم(٦٩).

وقد أحسن الإمام ابن حزم رحمه الله في بيان ذلك فقال: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبيﷺ مع الاتصال، خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً، و إنما يبلغون إلى شمعون ونحوه".

ثم قال: "وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب، أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود والنصارى".

إلى أن قال رحمه الله تعالى: "وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً، ولا إلى تابع له، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص". الفصل في الملل والنحل لابن حزم. (٢: ٦٩-٧٠) وانظر: تدريب الراوي(٢: ١٤٣).

لهذا اهتم العلماء المسلمون بالإسناد وبينوا أهميته من خلال عبارات مشهورة، فقد قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» مقدمة صحيح مسلم، وقال سفيان الثوري: «الإسناد هو سلاح المؤمن. فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟» المجروحين لابن حبان. وقال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" مقدمة صحيح مسلم. ولهذا فعندما كان يُسأل أهل البدع عمن أخذوا الحديث، كانوا يسكتون لئلا يفتضحوا.

ولما للإسناد من أهمية بين علماء المسلمين فقد تعدى استخدامه لأغلب العلوم، كعلم الأدب العربي، والتاريخ والطب وغيرها من العلوم. الإسناد من الدين، للشيخ/ عبدالفتاح أبو غدة.. وكان من ثمرة اهتمام المسلمين بالإسناد نشأة علم سمي بعلم الجرح والتعديل.

وقد بدأ المسلمون بالاهتمام الزائد بالسؤال عن الإسناد بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ، ففي ذلك الزمان نشطت حركة الوضع. واتخذ المحدثون إجراءات وقائية لمنع الكذابين من ترويج كذبهم، وللحفاظ على السنة فاستخدموا ضدهم سلاح الإسناد، يقول الإمام الثوري: (**عندما اخترع الكذابون أسانيد كاذبة استخدمنا ضدهم تاريخ الرواة**). عصام البشير، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ص: ٨٠.

إن الطريقة التي سلكها العلماء في التثبت من صحة الحديث سندًا ومتنًا وما اخترعوه لأجل ذلك من علوم كعلم أصول الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وغيرهما من العلوم، طريقة أشاد بها كثيرون من المستشرقين في تحقيق الراوية أمثال: باسورث سميث، وبرنارد شو، والدكتور سبرنجر كان .. فقد أعلن هؤلاء إعجابهم بالطريقة التي تم بها جمع الأحاديث النبوية، وبالعلم الخاص بذلك عند علماء المسلمين. ينظر: المستشرقون والحديث النبوي، الأستاذ محمد بهاء الدين.

يقول المستشرق الألماني سبرنجر: (**إن الدنيا لم ترَ ولن ترى أمة مثل المسلمين، فقد درس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل**). ينظر: الإسناد من الدين، للشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة. نقلاً عن مقدمة «سبرنجر» على كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني.

ويقول الكاتب العالمي الدكتور موريس بوكاي: «**لقد كانت معلومات هذا المصدر الثاني تعتمد على النقل الشفهي، لذلك كان الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال**

والأفعال في نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائمًا بالصعوبة، ولهذا كان هَمُّهُم الأول في عملهم العسير في مُدَوَّناتهم منصبًا أولاً على دِقَّة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة في حياة النبي ﷺ، وبكل قول من أقواله والتدليل على ذلك الاهتمام بالدِقَّة والضبط لمجموعات الأحاديث المعتمدة فإنهم قد نصُّوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبي ﷺ و أفعاله، وذلك بالصعود في الإسناد إلى الأول من أسرة النبي ﷺ ومن صحابته الذين قد نقلوا هذه المعلومات مباشرة منه نفسه، وذلك بعد الكشف على حال الراوي في جميع سلسلة الرواية، والابتعاد عن الرُواة غير المشهود لهم بحسن السيرة وصدق الرواية، ونحو ذلك من دلائل ضعف الراوي المُوجبة لعدم الاعتماد على الحديث الذي روي عن طريقه. وهذا ما قد انفرد به علماء الإسلام في كل ما روي عن نبيِّهم». دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، للدكتور موريس بوكاي.

بل وحتى القس المستشرق الإنجليزي (دافيد صموئيل مرجليوث) رغم عدائه الشهير للإسلام إلا أنه لم يتمالك نفسه أمام توثيق المسلمين للرواية إلا أن يقول: (ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم). المقالات العلمية (ص ٢٣٤- ٢٥٣): نقلاعن تقديم العلامة المعلمي اليماني في المعرفة لكتاب الجرح والتعديل.

وهذا (أسد رستم) المؤرخ والباحث النصراني عندما كتب كتابه «مصطلح التاريخ» وأراد أن يؤصل فيه لعلم حفظ الأخبار التاريخية لم يسعه إلا التأثر بقواعد علم مصطلح الحديث، واعترف بأنها طريقة علمية حديثة لتصحيح الأخبار والروايات، وقال بعد أن ذكر وجوب التحقق من عدالة الراوي، والأمانة في خبره: (ومما يذكر مع فريد الإعجاب والتقدير ما توصل إليه علماء الحديث منذ مئات السنين في هذا الباب، وإليك بعض ما جاء في مصنفاتهم نورده بحرفه وحذافيره تنويهًا بتدقيقهم العلمي، اعترافًا بفضلهم على التاريخ)... ثم أخذ ينقل نصوصًا عن بعض أئمة

المسلمين في هذا الشأن. كتاب «مصطلح التاريخ» للمؤرخ اللبناني د. أسد جبرائيل رستم، طبعة المكتبة العصرية بيروت.

فرحمة الله على أصحاب الحديث الذين صنعوا لهذه الأمة مجدها، وشكرًا لله الذي أعز أمتنا بالإسناد ورجاله.

ومن جميل ما كنا نقرأه في هذا الميدان قول الإمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله-: " **بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْقَوَائِمُ. يَعْنِي الإِسْنَادَ**". مقدمة صحيح مسلم .

وفي ترجمة عبد الله بن طاهر من تاريخه بسنده إلى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: كان عبد الله بن طاهر إذا سألني عن حديث فذكرته له بلا إسناد سألني عن إسناده، ويقول: "**رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمنى; فإن إسناد الحديث كرامة من الله - عزوجل - لأمة محمد ﷺ**".

فحفظ الله الكتاب والسنة بالإسناد ورجاله، فرضي الله عنهم وجزاهم عنا كل خير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رد الاعتبار لطريقة أهل الحديث الأخيار

(٤ج)

أ.د. عمر عيسى عمران
أستاذ العقيدة في كلية العلوم الإسلامية
الجامعة العراقية

من القضايا التي عززت الفهم المغلوط عن أهل الحديث والتي استمرأ خصومهم من المخالفين الطعن في طريقتهم هو عدم دراية الخصوم بطريقة أهل الحديث ومنهجهم في قضايا عدة، أوجزها بالآتي:

أولا: عدم فهم المراد من مصطلح أهل الحديث

إن جهالة مصطلح لقب "أهل الحديث" وعدم معرفة مصاديقه - وبخاصة في التأسيس العقدي- أورثت الخلل عند الجميع، الموافقين منهم لطريقة أهل الحديث والمخالفين، المحبين والمبغضين، المسالمين لهم والمناوئين، ولا شك أن لقب أهل الحديث انتسب إليه في القديم والحديث الكثير من ذوي المشارب المختلفة مِمَّا جعل الأمر يُشْكِلُ على الرَّاصد في تحرير طريقة هذا المسلك وبيان المشرب الأليق بالانتساب إليه وحمل شعاره .

أهلُ الحديث لقب مبارك لمرحلة زمنية مباركة، هي مرحلة القرون الثلاثة المفضلة التي يعد مثل الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والإمام البخاري[١] في ختام هذه المرحلة المباركة بحسب تقرير ابن حجر رحمه الله تعالى[٢].

---

(١) الإمام البخاري فقيه في العلوم جميعا لا يبارى، ومنها علم العقيدة فهو نسيج وحده، طود شامخ، وشرف باذخ، إمام الأئمة وبقية السلف الصالحين اجتمعت فيه كل عنوانات المجد والفهم والاتباع والمنافحة والذود عن الدين وحماه .

(٢) في المسألة أقوال أخرى؛ لكن هذا التحديد يجعل من اليسر والسهولة تمييز المنتسبين إلى هذا المسلك في الناحية العقدية.

وهنا أمر مهم يجدر التنبيه عليه وهو أن لكلّ اتجاه عند بدء تأسيسه بعض المآخذ في حصر مسائله ومباحثه وتقرير آرائه، ولهذا فالعبرة بنضوج المذهب وما استقر عليه في فترات لاحقة كما استقر الفقه عند الأئمة الأربعة، ولم يجوز العلماء التعبد بأقوال الصحابة ومذاهبهم في الفقه، مع أنهم أعلم الناس بمذاهب الحلال والحرام مع سعة في العلم ومعرفة بمعاني الكلام وتنوير القلوب وانشراح الصدر.

قال القاضي عياض: (... فكانوا أعلم الأمة بلا مرية، وأولاهم بالتقليد؛ لكنهم لم يتكلموا من النوازل إلا في اليسير مما وقع، ولا تفرعت عنهم المسائل، ولا تكلموا من الشرع إلا في قواعد ووقائع، وكان أكثر اشتغالهم بالعمل مما علموا، والذبّ عن حوزة الدين، وتوكيد شريعة المسلمين ثم بينهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يبقي المقلد في حيرة ويحوجه إلى نظر وتوقف، وإنما جاء التفريع التنتيج وبسط الكلام فيما يتوقع وقوعه بعدهم، فجاء التابعون؛ فنظروا في اختلافهم وبنوا على أصولهم ثم جاء من بعدهم العلماء من أتباع التابعين، والوقائع قد كثرت والنوازل قد حدثت، والفتاوى في ذلك قد تشعبت؛ فجمعوا أقاويل الجميع، وحفظوا فقههم، وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم، وحذروا انتشار الأمر وخروج الخلاف عن الضبط، فاجتهدوا في جمع السنن وضبط الأصول، وسألوا فأجابوا، وبنوا القواعد، ومهدوا الأصول، وفرعوا عليها النوازل، ووضعوا في ذلك للناس التصانيف وبوبّوها، وعمل كل واحد منهم بحسب ما فتح عليه، ووفق له، فانتهى إليهم علم الأصول والفروع والاختلاف والاتفاق، وقاسوا على ما بلغهم ما يدل عليه ويشبه، رضي الله عن جميعهم)[1].

ثم ذكر فضيلة اللاحق على السابق بقوله: "إحكامهم النظر في مذاهب من تقدمهم"، فهذا حكم الزمان لا مرد له ولا محيد عنه.

وعلى هذا الصنيع يُخرَّج نهي العلماء عن التعبد بغير المذاهب الأربعة، حيث ذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة لا عملاً ولا فتوى ولا

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: ٦٢/١. وكم حري بطالب العلم أن يقف عند القاضي عياض في مقدمته للترتيب ففيها كنوز علمية نادرة.

قضاء، ومن هؤلاء ابن الصلاح وابن رجب الحنبلي وغيرهم، ولابن رجب رسالة لطيفة سماها (الرد على من اتبع غير المذاهب الأربع)[١].

وقد قال فيها مبيناً علة المنع من اتباع غيرها: (قد نبهنا على علة المنع من ذلك، وهو أن مذاهب غير هؤلاء لم تشتهر ولم تنضبط، فربما نُسِبَ إليهم ما لم يقولوه أو فُهم عنهم ما لم يريدوه، وليس لمذاهبهم من يذب عنها وينبه على ما يقع من الخلل فيها، بخلاف هذه المذاهب المشهورة)[٢].

وقال الحطاب في مواهب الجليل: (قال القرافي: ورأيت للشيخ تقي الدين ابن الصلاح ما معناه أن التقليد يتعين لهؤلاء الأئمة الأربعة دون غيرهم، لأن مذاهبهم انتشرت وانبسطت، حتى ظهر فيها تقييد مطلقها وتخصيص عامها وشروط فروعها، فإذا أطلقوا حكماً في موضع، وجد مكملاً في موضع آخر، وأما غيرهم فتنقل عنه الفتاوى مجردة، فلعل لها مكملاً أو مقيداً أو مخصصاً لو انضبط كلام قائله لظهر، فيصير في تقليده على غير ثقة بخلاف هؤلاء الأربعة، قال -يعني القرافي -: وهذا توجيه حسن فيه ما ليس في كلام إمام الحرمين. انتهى. وبالغ بعض العلماء حتى نقل الإجماع على وجوب اتباع المذاهب الأربعة دون غيرها، قال في الفواكه الدواني: وقد انعقد إجماع المسلمين اليوم على وجوب متابعة واحد من الأئمة الأربعة (أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل) ﷺ، وعدم الخروج عن مذاهبهم، وإنما حرم تقليد غير هؤلاء الأربعة من المجتهدين -مع أن الجميع على هدى- لعدم حفظ مذاهبهم لموت أصحابهم وعدم تدوينها)[٣].

ومن هنا فإن من الخطأ الاعتقاد بأن المؤسس للاتجاه الحديثي هو الإمام أحمد؛ بل يمكن القول إنه استقر عنده؛ فهو خاتمة أهل الحديث والسنة؛ حيث مثل الإمام أحمد علامة النضج العقدي لأهل الحديث بمنافحته وتصنيفاته وتقريراته العقدية، فأصبح مستهدفا من الخصوم الجهمية والقدرية والمجبرة والمرجئة والمعتزلة وغيرهم،

---

(١) مطبوع الطبعة الأولى سنة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، مركز المربي.

(٢) الرد على من اتبع غير المذاهب الأربع: ص٣٢

(٣) كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: ٣٠/١

ولهذا من كان يريد الانتساب الى السنة والنأي عن البدعة يلتجئ الى الانتساب إليه والوقوف عند قوله؛ لكن المشكلة التي وقع فيها المنتسبون إلى الإمام أحمد كانت في تحديد منصوص قول أحمد رحمه الله تعالى ودلالاته، ولهذا تجدهم يتكلمون فيقولون: هذا منصوص أحمد، أو أشبه بكلام أحمد، أو ظاهر كلام أحمد، أو الأقرب له، أو هذا أبعد عن كلام أحمد[١].

وهذا يعني أن أهل السنة جعلوا معيارا لقبول القول من عدمه في التصنيف العقدي هو الإمام أحمد رحمه الله تعالى، ولهذا كل من جاء بعده من أهل السنة والجماعة ينتسب له حتى الإمام أبو الحسن الأشعري التزم الانتساب إليه.

لكن المشكلة كما قلنا كانت في دلائل قول الإمام أحمد وتحريرها فقد كان الأمر عسيرا على اللاحقين والمنتسبين لمذهب أحمد لكثرة روايات الإمام وتعددها، ومن هنا مثل الإمام البخاري رحمه الله تعالى الفهم الواضح السليم لمعتقد القرون المفضلة والجامع لما تشتت في الاتجاه الحديثي من أقوال، والمهيمن عليها، والمُقعِّدُ والضابط لها؛ فقوله كان أوضح الأقوال في المسائل وأدقِّها وأكثرها تحريرا، وبالبخاري ختمت هذه المرحلة المباركة، وأغْلِقَ باب لقب أهل الحديث فلا يطلق على من جاء بعدهم، وهكذا ينبغي إلَّا من باب التسامح، أو أنهم على الجادة.

إذ إن تحديد أهل القرون الثلاثة يكون من زمن النبوة والصحابة؛ حيث السُّنة وعلماؤها أقوياء ظاهرون على الحق إلى وقت ضعفهم وخوفهم من التّصريح من أنهم من أهل السنة، ولو حسبنا ذلك سنجد أن فترة ضعف أهل السُّنة بدأت بحمل المأمون النَّاس على عقيدة الاعتزال، وإلزامهم بعقيدة خلق القرآن رسميًّا، وبداية ذلك سنة ٢١٨ هجرية، واشتداده سنة ٢٢٠ هجرية، وهذه السَّنة هي التي رجّحها ابن حجر بناء على أن القرن سبعون سنة؛ فتنتهي سنة ٢٢٠ هجرية، اذا جعلنا القرون بعد

(١) العمل جار لتحقيق هذه الغاية يسر الله علينا اتمامها حيث سيقف القارئ على محددات معرفية وضوابط علمية في بيان ذلك بما سيترك أثره السلبي على بعض من عرف قديما بفضلاء الحنابلة، وعلى من يعرف اليوم بالحنابلة الجدد، أو جماعة القول المعتمد.

قرنه ثلاثة كما في بعض الأحاديث، ومنهم من جعلها قرنين بعد قرنه[١]، وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري أنه في هذا الزمن كثرت البدع، وانتشرت، وصار لها من يدعهما ويروجها، ويمتحن عليها، نعم أصول البدع وجدت في وقت مبكر، في آخر عهد الصحابة وجد بعض البدع، لكنها ضعيفة، وإنما نشطت وقويت ودعمت وامتحن من أجلها الأخيار في هذا الزمان الذي ذكره ابن حجر - رحمه الله - . وبهذا فإن كل من ولد في هذه المرحلة يمكن عده من أهلها لبركتها وشمول خيريتها لمن كان في وقتها، وإن كُلَّ مَنْ جَاءَ وولِدَ بَعد سنة ٢٢٠ هجرية؛ فهو إن كان على طريق أهل الحديث فهو من أهل الجادة وإلَّا فلا.

ويقول الملا علي القاري رحمه الله: " قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ - يعني القرن - لَا يَنْضَبِطُ بِمُدَّةٍ، فَقَرْنُهُ ﷺ هُمُ الصَّحَابَةُ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُمْ مِنَ الْمَبْعَثِ إِلَى آخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقَرْنُ التَّابِعِينَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ إِلَى نَحْوِ سَبْعِينَ، وَقَرْنُ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِنْ ثَمَّ إِلَى نَحْوِ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ ظُهُورًا فَاشِيًا، وَأَطْلَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ أَلْسِنَتَهَا، وَرَفَعَتِ الْفَلَاسِفَةُ رُؤُوسَهَا، وَامْتُحِنَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ تَغَيُّرًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ فِي نَقْصٍ إِلَى الْآنَ، وَظَهَرَ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ ﷺ: (ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ) "[٢]

ولهذا كان كبارُ الأئمة وفقهاءُ الامة أنفسُهُم يحتكمون لرؤية هذه الثُّلة المباركة الملقبين بأهل الحديث، وينقادون لكلامهم ويخضعون لحكمهم فمذاهب الناس على مذهبهم، وليسوا هم على مذهب احد فهم معيار ومقياس الصحة من عدمها في العقيدة والشريعة والسلوك والاخلاق.

يقول ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) في تأويل مختلف الحديث: (فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من جهته، وتتبعوه من مظانه، وتقربوا الى الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لآثاره واخباره برا وبحرا وشرقا وغربا يرحل الواحد منهم

---

(١) يراجع في هذه المسألة أقوال العلماء كما استقرأها الباحث محمد بن بسيس بن مقبول السفياني في بحثه الموسوم "القرون المفضلة: مفهومها، وتحديدها"، المنشور مجلة كلية الشريعة والقانون، بأسيوط، المجلد ٣٣، العدد ٢ - الرقم المسلسل للعدد ٣٣، يناير ٢٠٢١، الصفحة ١٨٠١-١٨٤٩.

(٢) " مرقاة المفاتيح " (٣٨٧٨/٩) .

راجلا مُقويا- اي جائعا- في طلب الخبر الواحد أو السُّنةِ الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة، ثم لم يزالوا في التنقير عن الاخبار والبحثِ لها، حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي؛ فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافيا، وبسق بعد أن كان دارسا، واجتمع بعد أن كان متفرقا، وانقاد للسنن من كان عنها معرضا، وتنبه عليها من كان عنها غافلا، وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يُحكم بقول فلان وفلان)[١].

ويقول الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: (فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين؛ لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين؛ فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى.. لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولا وفعلا، وحرسوا سنته حفظا ونقلا، حتى ثبّتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بها وأهلها، وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها. والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها؛ فهم الحفاظ لأركانها، والقوامون بأمرها وشأنها؛ إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون، (﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢])[٢].

ثانياً: اختلاف أهل الحديث في القرون المفضلة

رصد مناوئو أهل الحديث وجود بعض الاختلافات بينهم وهذا أمر حق، ولكن اختلاف أهل الحديث كان غرضه اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين، وهنا أمر مهم يجب لزوما الوقوف عنده وفهمه حق الفهم، وهو أن اختلاف أهل الحديث في القرون المفضلة أمر ليس غريبا، وكان على نطاق محدود، ومزية اختلافهم أنَّ الحق لا يخرج عنهم؛ فالحق محصور بين السلف في الأمور التي اختلفوا فيها كما أن الخيرية محصورة فيهم، وإن وجد فيهم من ليس منهم ببدعة أو انحراف في المنهج... لكن عموما الخيرية فيهم، ولا تخرج منهم، وإن اختلفوا بخلاف من جاء بعدهم.

---

(١) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة: ص٧٣.

(٢) الرحلة في طلب الحديث - الخطيب البغدادي - ص ٢٢٣

يقول ابن قتيبة: (ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقران وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضا. وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الالفة بينهم ولا مما يوجب الوحشة لأنهم مجموعون على أصل واحد وهو القرآن كلام الله غير مخلوق)[١].

فأهل الحديث من أهل القرون المفضلة هم مهيع واحد ولا يخرجهم عن ذلك اختلاف إن وجد.

يقول العلامة أبو المظفر السمعاني (٤٢٦-٤٨٩هـ) صاحب كتاب " الانتصار لأصحاب الحديث": (لو طالعتَ جميع كتبهم المصنّفة من أوّلهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم - مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلّ واحد منهم قطراً من الأقطار - وجدتَهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمطٍ واحد، يجرون فيه على طريقة واحدة، لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرّقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعتَ جميعَ ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنّه جاء من قلب واحد، وجرى على لسانٍ واحد) [٢].

ثالثاً: الجهل بمنهج التصنيف عند أهل الحديث

ولعل هذا من أكثر الآفات التي ابتلي بها خصوم أهل الحديث؛ فجعلتهم يكيلون التهم جزافا للحديث وأهله ورميهم لهم بالتناقض والتجهيل؛ وعزز ذلك بعض الاطلاقات التي تسامح فيها البعض فأخذها الناس على أنها اطلاقات دقيقة ومنضبطة والحال أنها ليست كذلك، فمن ذلك ما ذكره ابن الاكفاني في ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد؛ إذ يقول: (وأضبط الكتب المجتمع على صحتها كتاب البخاري ومسلم ﷺ، وبعدهما بقية كتب السنن المشهورة: كسنن أبي داود والترمذي والنسائي و ابن ماجة والدارقطني)[٣].

---

(١) الاختلاف في اللفظ، لابن قتيبة: ص٢٤٥

(٢) يُنظر: الحجة للتيمي (٢/٢٢٥، ٢٢٤)، وهو من كلام أبي المظفر السمعاني.

(٣) ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: ص١٥٥

فانظر أيها القارئ إلى هذا التساهل في الإطلاق من قبل ابن الاكفاني، والذي يُشعرُ بالمساواة بين هذه السُّنن؛ فأين هذا الإجماع الموهوم على صحة هذه السنن، وفيها الصحيح والحسن والضعيف، بل والموضوع كسنن ابن ماجة.

بل إن سنن الدار قطني كانت تعرف بأنّها "بيت المنكرات" كما يقول الحافظ الذهبي، التي حرفها البعض وصحفها بأنها "مجمع الحشرات" وهي كلمة قبيحة ومحرفة عن كلمة الذهبي وقعت في فيض القدير للمناوي[١].

يقول الشيخ ابن تيمية: (والدار قطني صنف سننه ليذكر فيها غرائب السنن)[٢].

وقال في الفتاوى: (وأبو الحسن الدار قطني مع تمام امامته في الحديث فانه إنما صنف هذه السنن كي يذكر فيها الاحاديث المستغربة في الفقه ويجمع طرقها، فإنها هي التي يحتاج فيها إلى مثله فأما الاحاديث المشهورة في الصحيحين وغيرهما فكان يستغني عنها في ذلك)[٣]

فانظروا إلى الدارقطني، وهو من هو في إمامة الحديث، والتبحر في هذه الصناعة لمَّا خفيت ملامح صنيعه في هذه السنن، وتسامع الناس أنَّها بيت المنكرات ظنوا أن هذا سُبَّة في الإمام وتجهيل له مع أن هذا الصنيع مقصود من قبل الامام الدار قطني؛ لأنه أتى بهذه المنكرات، وبيَّنَ عِللها وأسباب ضعفها وإنكاره على البعض الآخر[٤].

فهو لم يؤلف هذا الكتاب على غرار تأليف أبي داود والنسائي وابن ماجه وأمثالهم الذين يوردون في كل باب من " السنن" أصح ما ثبت عندهم وإنما ألفه على غرار كتابه الفذ العجيب "العلل" لكنه جمع في السنن أحاديث الباب المعلولة في صعيد واحد مع إبانة عللها ومطاعنها ليقف عليها من جهلها أو ممكن لم يرها علة مانعة من العمل بالحديث فيقتنع بها أو ينتفع بها عند الموازنة والترجيح بين الحديثين الواردين في

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصغير: للمناوي: ٢٨/١

(٢) في كتابه " الرد على البكري" ص٢٠

(٣) الفتاوى الكبرى (٥\ ٢٩٩)

(٤) الصارم المنكي في الرد على السبكي: ص١٩.

الباب المتعارضين أو الزائد أحدهما على الآخر زيادة ذات شأن في استنباط الحكم منها فيقدم الراجح على المرجوح [١]

قال الشيخ ابن تيمية: (وهو –اي الدارقطني- في الغالب يبين حال ما رواه، وهو من أعلم الناس بذلك)[٢]

إذن جهل الناس بطريقة التصنيف عند أهل الحديث ربما أسهمت في زعزعة الثقة بهم وجعلتهم يكيلون التهم جزافا لهم، ويتقبلون نقد المتكلمين لطريقتهم في جميع المعارف الاسلامية فيتهمون بالحشوية والتجهيل والسطحية فيها.

وهذه دعوة من هنا إلى ضرورة توجيه الطلبة في الدراسات العليا إلى الكتابة في موضوعات المنهج التصنيفي عند علماء الحديث؛ لأنَّ من شأن ذلك الإسهام في إماطة اللثام عن طريقة أهل الحديث الأعلام، وبيان تزييف خصومهم الطغام، والتّوضيح بأن أهل الحديث في التّصنيف -كما هو الحال في الأفكار- مشارب مختلفة وطرائق قددا، قد يجمعها أصول معينة وأسس رئيسة؛ لكنهم يختلفون أيضًا، ومن شأن الوقوف عليها إزالة كُلِّ مَا علق في أذهان الخصوم من أوهام.

ومن هذه الأوهام اتهام أهل الحديث بالتناقض في رواية الأخبار، ولعل ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أقدم مَنْ فطِنَ لهذا الأمر؛ فكتب مؤلفه المهم في هذا الباب، وهو " تأويل مختلف الحديث والرد على من يريب في الأخبار المدعى عليها التناقض" .

حيث عقد فصلا في ذم خصوم أهل الحديث الذين هم أليق بأوصاف التجهيل من أهل الحديث فهم على حدِّ تعبير ابن قتيبة بما نصه: (فوجدتهم يقولون عن الله ما لا يعلمون ويعيبون الناس بما يأتون، ويبصرون القذى في عيون النَّاس، وعيونهم تطرف[٣] على الأجذاع[٤]، ويتهمون غيرهم في النقل، ولا يتهمون آراءهم في التأويل)[٥].

---

(١) منهج الإمام الدارقطني في دراسة علل الحديث، الوردي زقادة: ص٣٦

(٢) الرد على البكري: ص٢٠؛ ومن اراد التفصيل فليرجع الى السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدار قطني"

(٣) يطبق أحد جفنيه على الآخر.

(٤) جمع جذع وهي ساق النخلة.

(٥) تأويل مختلف الحديث: ص٧٦

ولهذا حرص أهل الحديث على تدعيم طريقتهم ونصرتها من خلال العمل في اتجاهين واضحين لا غنى لأحدهما عن الآخر:

الأول: تدوين السنة بأسانيدها ليتحقق الناظر فيها من درجة الحديث صحة وضعفا؛ فيحتج بالصحيح ويعرض عن الضعيف.

الثاني: دفع الشبه الغوية المفتراة على السنة النبوية .

وللحديث بقية

من منهج الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) في الاستدلال بالسنة النبوية

(ج١)

إعداد: ربيع الحبادي

باحث دكتوراه (وحدة القرآن والحديث)

مؤسسة دار الحديث الحسنية-جامعة القرويين

الرباط-المغرب

الحمد لله رب العالمين, وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد, وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فلا يخفى على مشتغل بالفقه والحديث ما للإمام أبي عبد الله محمدِ ابن إدريسَ الشافعيّ (١٥٠-٢٠٤هـ) من اقتران بالسنة النبوية وعلومها، فهو ناصر السنة والحديث بما قرره من أدلة على حجيتها، وقعده من قواعد في قبولها وردها، وأصّله من أصول في التعامل معها واستثمارها.

وهو بذلك قد كفى الباحثين قسطا من مؤونة التتبع والاستقراء لاستنباط منهجه وإبراز معالمه - إذ دراسة المناهج هذا سبيلها -؛ ذلك أن الإمام الشافعي قد نصّ على أصوله وصرّح بطريقته في كتبه، ونقل ذلك وزاده تبيانا أصحابه والمتمذهبون بمذهبه مثل: الربيع ابن سليمان المرادي (٢٧٠هـ)، وأبي بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، وغيرهم.

وإن كانت تلكم النقولات على ثرائها، محتاجة إلى من يستنطق كلماتها ويستخرج مكنوناتها، ملحِقا النظير بنظيره، جامعا الضمائم إلى بعضها، وموضحا الشواهد والأمثلة ووجوه تصريفها(١).

وحسبي في هذه المقالة عرض طرف من تأصيلاته السَّنية لمنزلة السنة النبوية - ويعني بها: المرفوع المسند، كما سيتضح من كلامه وتمثيلاته -، وذكر شيء مما يُبين منهجه في الاستدلال بها. وقد تضمنت هذه الحلقة المحور الأول من البحث، وهو:

❖ منزلة السنة النبوية ومكانتها في التشريع:

فأقول - مستعينا بالله -: يُقرّر الإمام الشافعي أن السنة النبوية من الأصول التشريعية التي لا تُستنبط الأحكام إلا من جهتها؛ حيث يقول: "**ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حلَّ ولا حرُم إلا من جهة العلم. وجهةُ العلم الخبرُ في الكتاب أو السنة، أو الإجماع أو القياس**"(٢).

وله ترتيب آخر أكثر تفصيلا لمصادر التشريع، جعل فيه السنة قرينةَ القرآن، قال فيه: "**والعلم طبقاتٌ: الأولى: الكتاب والسنة إذا ثَبتت السنة، ثم الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتابٌ ولا سنة، والثالثة: أن يقول بعضُ أصحاب النبي ﷺ ولا نعلمُ له مخالفا منهم، والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ، والخامسة: القياس على بعض هذه الطبقات. ولا يُصار إلى شيء غيرِ الكتاب والسنة، وهُما موجودان وإنما يُؤخذ العلم مِن أعلى**"(٣).

---

(١) يستفاد في هذا مما كتبه د. الناجي لمين في كتابه السنة النبوية وصلتها بالعمل والمذاهب الفقهية، (أبو ظبي-دبي: مركز الموطأ-مسار للطباعة والنشر، ط٢: ٢٠١٨م)، ص١٠٩-١٢٣، ١٧٢-١٩٨، ٢٩٣-٣٠٤. وينظر كذلك: قواعد فهم الحديث عند الإمام الشافعي، تأليف د. عبد الرحمن آل نصر، (السعودية: مركز سطور للبحث العلمي-دار الإمام مسلم، ط١: ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م). وينتفع في هذا السياق وفي قراءة تراث الإمام الشافعي بما سطره د. مشاري الشثري في مجرد مقالات الشافعي في الأصول (السعودية: مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١: ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) ،وعبقرية الإمام الشافعي (السعودية: آفاق المعرفة، ط٣: ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)....

(٢) الرسالة، ت: أحمد شاكر، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١: ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ص٣٩.

(٣) أخرجه أبو بكر البيهقي في معرفة السنن والآثار، ت: عبد المعطي قلعجي، (كراتشي-بيروت-دمشق-حلب-القاهرة: جامعة الدراسات الإسلامية، دار قتيبة، دار الوعي، دار الوفاء، ط١: ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، (١/١٨٣).

وكذلك قرّر أن أحداً ممن يَنتسب إلى العلم لم يخالف في كون السنة فرضا لازم القبول لأخبارها والاتباع لأحكامها، كما نقرأ قوله في جماع العلم[١]: "لم أسمع أحدا - نَسبَه الناس أو نسَب نفسه إلى علمٍ - يخالف في أن فرضَ الله ﷻ اتباعُ أمر رسول الله ﷺ، والتسليمُ لحُكمه. بأنّ الله ﷻ لم يَجعل لأحد بعدَه إلا اتباعَه. وأنه لا يَلزمُ قولٌ بكلّ حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ. وأنّ ما سواهما تبَعٌ لهما. وأنّ فرض الله علينا وعلى مَن بعدَنا وقبلنا، في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ-: واحدٌ. لا يَختلف في أن الفرض والواجب قبولُ الخبر عن رسول الله ."ﷺ

ويضيف أنها من البيان الذي تعبّد الله به الخلق، إما على جهة الموافقة لنص القرآن، وإما على جهة الإيضاح والتفصيل لكيفيات الفرائض المنصوص عليها في القرآن، وإما على وجه الاستقلال.[٢]

فيقول مجمِلا النوعين الأولين: "كلُّ ما سَنَّ رسولُ الله ﷺ مَعَ كِتاب الله مِن سنةٍ فهي مُوَافِقةٌ كتابَ الله في النصِّ بِمِثْلِهِ، وفي الجُمْلة بالتَّبْيِينِ عَن الله، والتبيينُ يكون أكثرَ تَفْسِيراً مِن الجُمْلة"[٣].

ويقول مفصِّلا: "فجِمَاعُ ما أبان اللهُ لخلقه في كتابه، مما تَعَبَّدَهم به، لِمَا مضى من حُكمه جلّ ثناؤه: من وجوه:

ومنه: ما أَحكَم فرضَه بكتابه، وبيَّن كيف هو على لسان نبيه. مثلُ عدد الصلاة والزكاة ووقتِها، وغير ذلك من فرائضه التي أَنزَل مِن كتابه.

ومنه: ما سَنَّ رسول الله ﷺ مما ليس لله فيه نصُّ حُكم، وقد فرض الله في كتابه طاعةَ رسوله ﷺ والانتهاءَ إلى حُكمه. فمَن قبِل عن رسول الله ﷺ فبِفَرْضِ الله قَبِل"[٤].

---

(١) ت: أحمد شاكر، (مصر: مكتبة ابن تيمية)، ص١١-١٢.

(٢) ينظر: نفس المصدر، ص١٠٣-١٢٤.

(٣) الرسالة، ص٢١٢.

(٤) نفسه، ص٢١-٢٢.

ثم زاد الصورة بيانا مورداً بعض وجوه الأدلة على ذلك، ومنها: أن الحكمة هي السنة، وأن الاستدلال بالسنة والعملَ بما دلت عليه وسيلة إلى امتثال الأوامر القرآنية، فقال: "كلُّ ما سنَّ رسول الله ﷺ مما ليس فيه كتابٌ، وفيما كَتبنا في كِتابنا هذا، مِن ذِكرِ ما مَنَّ الله به على العباد من تَعَلُّم الكتاب والحكمة: دليلٌ على أن الحكمة سنةُ رسول الله ﷺ.

مع ما ذكَرنا مما افترض الله على خلقه من طاعة رسوله ﷺ، وبيَّن من موضِعه الذي وضَعه الله به من دينه: الدليلُ على أن البيانَ في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه:

ومنها: ما أتى على غاية البيان في فَرْضِه، وافترضَ طاعةَ رسوله ﷺ، فبيَّن رسول الله ﷺ عن الله: كيف فرْضُهُ، وعلى مَن فرْضُهُ، ومتى يَزول بعضُه وَيَثبُتُ وَيَجِبُ.

ومنها: ما بيَّنه عن سُنة نبيّه، بلا نص كتاب.

فكلُّ من قَبِلَ عن الله فرائضه في كتابه: قَبِلَ عن رسول الله ﷺ سُننه، بفرْض الله طاعةَ رسوله على خلقه، وأن يَنتهوا إلى حكمه. ومن قَبِلَ عن رسول الله ﷺ فعَنِ الله قَبِلَ، لِمَا افترض الله من طاعته.

فيَجمع القبولُ لما في كتاب الله ولسنةِ رسول الله ﷺ: القبولَ لكلِّ واحد منهما عن الله، وإن تفرَّقت فروعُ الأسباب التي قُبِل بها عنهما"[١].

وقد أعاد الإمام الشافعيُّ وأبدأ في تأكيد هذا المعنى ونوّع العبارة في تقريره والاستدلال له، ومن ذلك قوله: "وَضَع اللهُ رسوله ﷺ مِن دينه وفرْضِه وكتابه الموضعَ الذي أبان جلَّ ثناؤه أنه جعله عَلَمًا لدِينه، بما افترض من طاعته، وحرَّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قَرَن من الإيمان برسوله مع الإيمان به"[٢].

(١) نفسه، ص٣٢-٣٣.

(٢) نفسه، ص٧٣.

"وما سَنَّ رسولُ الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكمٌ: فبِحُكْم الله سنَّه. وكذلك أخبرنا الله في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وكلُّ ما سَن فقد ألزمنا الله اتباعَه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العُنُود عن اتباعها معصيتَه التي لم يَعذِر بها خَلْقاً، ولم يَجعل له من اتباع سنن رسول الله ﷺ مَخْرجاً، لما وصفتُ، وما قال رسول الله ﷺ: ((لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، مِمَّا أَمَرْتُ به أَوْ نَهَيْتُ عنه؛ فيقولُ لاَ أَدْرِي ما وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ))"[(١)].

ومن الشواهد التي ساقها الإمام على ما قرّره من البيان النبوي للقرآن، حدُّ السرقة في قول "الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨] . وسنّ رسول الله ﷺ أن: «لاَ قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلاَ كَثَرٍ»، وأن لا يُقطعَ إلا من بلغت سرقتُه ربع دينارٍ فصاعداً"، "ولولا الاستدلالُ بالسنة وحُكْمُنا بالظاهر: قَطعنا من لزمه اسمُ سَرِقَةٍ"[(٢)].

ومحال عنده أن يختلف القرآن والسنة، فـ"لا تكون سنةٌ أبدا تخالف القرآن"[(٣)]؛ "لأنّ الله جل ثناؤه أقام على خلقه الحُجة من وجهين، أصلُهما في الكتاب: كتابه، ثم سنةُ نبيه، بفرضِه في كتابه اتباعَها"[(٤)].

وهاهنا إشارة لا ينبغي إغفالها، وهي أن الشافعي نقل الخلاف في القسم الثالث من السنة، وهو ما شرعه النبي ﷺ استقلالا مما لا نص فيه من الكتاب، فقال: "والوجه الثالثُ: ما سَن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نصُّ كتاب, فمنهم من قال: جعل الله له بما افترَضَ من طاعته وسَبَق في علمه مِن توفيقِه لِرضاه, أن يَسُن فيما ليس نصَّ كتابٍ. ومنهم من قال: لم يَسن سنة قطُّ إلا ولها أصل في الكتاب. ومنهم من قال:

---

(١) نفسه، ص٨٨-٨٩.

(٢) نفسه، ص٦٦-٦٧، ٧٢-٧٣.

(٣) جماع العلم، ص١٢٤.

(٤) الرسالة، ص٢٢١.

بل جاءته به رسالةُ الله, فأثبتَتْ سنتَه بفرْض الله. ومنهم من قال: ألقِيَ في رَوْعه كلُّ ما سَن, وسنتُه: الحكمةُ الذي ألقِيَ في روْعه عن الله"[١].

ومع أن الشافعي قرّر كون السنة أصلا بنفسها في الاحتجاج، إلا أنه لم يجعل السنن الثابتة كلَّها في مرتبة واحدة، ومن بابٍ أولى أن يجعلها كذلك مع القرآن، أو مع غيرها من مصادر التشريع؛ وذلك قوله: "يُحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها، الذي لا اختلاف فيها، فنقولُ لهذا: حَكَمنا بالحق في الظاهر والباطن.

ويُحكم بالسنة قد رُويت من طريق الانفراد، لا يَجتمع الناس عليها، فنقول: حكمنا بالحق في الظاهر، لأنه قد يمكنُ الغلط فيمن رَوى الحديث.

ونَحكم بالإجماع ثم القياس، وهو أضعفُ من هذا، ولكنها منزلةُ ضرورة، لأنه لا يحلُّ القياس والخبر موجود، وكذلك يكون ما بعد السنة حجةً إذا أَعْوَزَ من السنة"[٢].

هذا ما أمكن إيراده في هذه الحلقة، وللمقال بقية تأتي - إن شاء الله -...

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه، ت: عادل العزازي، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط٢: ١٤٢١هـ)، (٢٧٢/١). وينظر: معرفة السنن والآثار، (١٠٢/١ وما بعدها).

(٢) الرسالة، ص٥٩٩-٦٠٠.

حديث وفوائد:
في بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ

إعداد بشير نصار إبراهيم
طالب دكتوراه في الفقه وأصوله
كلية العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية

قال الإمام مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو عامر الأشعري، ومحمد بن العلاء -واللفظ لأبي عامر- قالوا: حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ،قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

فوائد الحديث:

أولاً: في هذا الحديث مثلٌ بديعٌ عجيبٌ فقد مثل النبي ﷺ ما بعثه الله به من العلم و الهدى بغيث يعني بمطر، ووجه الشبه أن بالغيث تحيى الأرض، وبالوحي تحيى القلوب، ولهذا سمى الله سبحانه وتعالى ما بعث به محمداً ﷺ روحاً فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ الشورى: ٥٢ – ٥٣

ثانياً: أن الأرض بالنسبة لنزول الغيث ثلاثة أقسام، وكذلك الناس بالنسبة لنزول الوحي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قبِل المطر وشرِب وأنبت العشب الكثير والكلأ، فانتفع الناس بذلك، فهذا مَثلُ من فقُه في دين الله فعَلِم وعَلَم .

القسم الثاني: قيعان لا تنبت، لكن أمسكت الماء لم تشربه، فسقى الناس منه وارتووا وزرعوا.

فالصورة الأولى والثانية للمثل فيمن قبِل الحق فعَلَّم وتعلَّم، ونفع و انتفعت، فالذين قبِلوا الحق صنفان: صنف آتاه الله فقهاً فصار يأخذ الفقه والأحكام الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعلمونها الناس، وهم الفقهاء الذين حفظوا الشريعة ووعوها وفهموها و استنبطوا منها الأحكام الشرعية .

وصنف يحفظ الحديث ويرويه ولكنه ليس بفقيه، فهو لا يستنبط الأحكام من الأحاديث، وإنما هم أوعية يحفظون الأحاديث وينقلونها ومنهم يأخذ الفقهاء والناس هذه الأحاديث وينتفعون بها، فهم كالأرض التي أمسكت الماء فانتفع الناس به.

القسم الثالث: أرض قيعان، بلعت الماء ولم تنبت، أرض سبخة، فهي لم تنتفع بالغيث. وكذلك هناك أُناس لم ينتفعوا بوحي الله وبشرعه ولم يرفعوا به رأساً والعياذ بالله، فهم لا خير فيهم، وهم شر الأقسام، نسأل الله العافية .

ثالثاً: في هذا الحديث حسن تعليم الرسول ﷺ، حيث يضرب الأمثال بالمعاني المعقولة بأشياء محسوس، لأن إدراك المحسوس أقرب من ادراك المعقول .

وما أكثر الأمثال في القرآن مثل قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فالمثل الذي يستحضره الإنسان يرسخ عنده، قال الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فضرب الأمثال تقريب للعلم وترسيخ له وإعانة على الفهم. والحمد لله.

حديث وفوائد:
في صلاة النافلة

إعداد ياسر محمد جاسم
طالب دكتوراه في الفقه وأصوله
كلية العلوم الإسلامية في الجامعة العراقية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن أَحْمَد بْن سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ سِيرِينَ قَالَ: (اسْتَقْبَلْنَا أَنَسًا حِينَ قَدِمَ مِنَ الشَّأْمِ، فَلَقِينَاهُ بِعَيْنِ التَّمْرِ[1]، فَرَأَيْتُهُ يُصَلِّي عَلَى حِمَارٍ وَوَجْهُهُ مِنْ ذَا الْجَانِبِ، يَعْنِي عَنْ يَسَارِ الْقِبْلَةِ، فَقُلْتُ: رَأَيْتُكَ تُصَلِّي لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ؟ فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَلَهُ لَمْ أَفْعَلْهُ)[2].

يستفاد من الحديث ما يأتي:

١. يشرع استقبال المسافر خارج المدينة.
٢. تجوز صلاة التطوع على الدابة بغير استقبال للقبلة، بخلاف صلاة الفرض فلا تجوز على الدابة بالإجماع كما قال ابن البيطار رحمه الله بغير عذر.
٣. الصلاة على الحمار جائزة وتكون بالإيماء، وقد ثبت في الموطأ عن يحيى بن سعيد رحمه الله قال: رأيت أنساً وهو يصلي على حمار وهو متوجه إلى غير

---

(١) هُوَ مَوْضِعٌ بِطَرِيقِ الْعِرَاقِ مِمَّا يَلِي الشَّامَ وَكَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ شَهِيرَةٌ فِي آخِرِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْأَعَاجِمِ وَوَجَدَ بِهَا غِلْمَانًا مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا رَهْنًا تَحْتَ يَدِ كِسْرَى مِنْهُمْ جَدُّ الْكَلْبِيِّ الْمُفَسِّرِ وَحُمْرَانُ مَوْلَى عُثْمَانَ وَسِيرِينُ مَوْلَى أَنَسٍ.

(٢) صحيح البخاري، بَابُ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ عَلَى الْحِمَارِ ٢/٤٥ رقم ١١٠٠، صحيح مسلم، باب جواز صلاة النافلة على السفر حيث توجهت ٢/١٥٠ رقم ٧٠٢.

القبلة يركع ويسجد إيماءً من غير أن يضع جبهته على شيء.

٤. من صلى على موضع فيه نجاسة لا يباشرها بشيء منه أن صلاته صحيحة لأن الدابة لا تخلو من نجاسة ولو على منفذها، وكذلك يدل الحديث على طهارة عرق الحمار.

٥. الرجوعُ إلى أفعاله ﷺ كالرجوع إلى أقواله من غير اعتراض عليه.

٦. سؤال التلميذ شيخه عن مستند فعله أو قوله والجواب بالدليل.

٧. وفيه التلطف في السؤال (رأيتك تصلي لغير القبلة)

٨. وفيه الاتباع في كل أمر من أمور الدين لقوله: (لولا أني رأيت رسول الله فعله لم أفعله)، فإذا فعل رسول الله فعلْنا، وإذا لم يفعل لم نفعل، وإذا قال رسول الله قلنا وإذا لم يقل لن نقول.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضوابط النشر في المجلة

ترحب هيئة التحرير بكم، وتستقبل مساهماتكم ونشاطاتكم العلمية على البريد الإلكتروني

mailto:almohadith.mg@gmail.com

١. أن تكون المقالات باللغة العربية.

٢. أن تكون المقالات علمية متخصصة بالحديث وعلومه.

٣. تعرض المقالات على اللجنة العلمية للمجلة، وقد تعدل عليها علميا، وبما يناسب طبيعة المجلة.

٤. لا يوجد إلزام لهيئة التحرير بنشر المقالات.

٥. يكون النشر بحسب متطلبات المجلة، ووفق الأمور الفنية الآتية:

أ. هوامش الصفحة تكون ٣ سم من كل الاتجاهات الأربعة، ويكون التباعد (مفردًا).

ب. يستخدم خط (**Sakkal Majalla**) للغة العربية، بحجم (١٨)، وبحجم (١٤) للحاشية، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

ت. يستخدم خط (**New Times Roman**) للغة الانجليزية، بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والجداول والأشكال.

ث. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي غير مسوَّد.

ج. أن يعتني الباحث بسلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

مجلة

المحدث

تصدر عن

مدرسة الحديث العراقية